عبدالله بن حمد الحقيل

من وحي رحلات إلى الولايات المتحدة الأمريكية

دار الحضارة للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

من وحي رحلات إلى الولايات المتحدة الأمريكية

بقلم

عبدالله بن حمد الحقيل

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

دار الحضارة للنشر والتوزيع

ⓒ دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٣٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحقيل، عبدالله حمد

من وحي رحلات إلى الولايات المتحدة الأمريكية./ عبدالله حمد الحقيل-ط١-الرياض ١٤٣٦هـ

ص ؛ ٠٠×٠٠ سم

ردمك: ٦ -٣٥٨ -٥٠٦ -٦٠٣ -٩٧٨

١ -الدعوة الإسلامية ٢ -الإسلام-دفع مطاعن ٢ -أدب الرحلات أ -العنوان

ديوي ٢١٢ ١٤٣٦/٨٦٧٧

رقم الإيداع: ١٤٣٦/٨٦٧٧

ردمك: ٦ -٣٥٨ -٥٠٦ -٦٠٣ -٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

دار الحضارة للنشر والتوزيع

ص.ب ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥

هاتف: ٢٤١٦١٣٩ - ٢٤٢٢٥٢٨ فاكس: ٢٧٠٢٧١٩

فاكس: ٢٤٢٢٥٢٨ تحويلة ١٠٣

الرقم الموحد: ٩٢٠٠٠٠٩٠٨

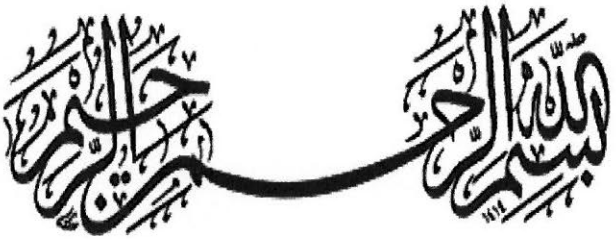
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فقد عشقت السفر والرحلة منذ مدة طويلة ومارست الكتابة عن رحلاتي في صحف وكتب ومجلات حتى أصبح السفر جزءاً من حياتي، وهي بما تحويه من تنويع تمتع الفكر وتزيل عنه السأم وتجدد فيه النشاط لمواصلة القراءة.

ولا غرو فإن الرحلات من أوسع أبواب المعرفة والثقافة الإنسانية فقد احتل أدب الرحلات في جميع لغات العالم مكانة مرموقة. وهذا الكتاب يتضمن الحديث عن رحلات قمت بها إلى الولايات المتحدة الأمريكية وهي بلاد واسعة تمتد على طول ٩٠٠٠ كلم من الشرق إلى الغرب وتقع ما بين المحيط المتجمد الشمالي والأطلسي والهادي وتكثر فيها البحيرات والأنهار الكثيرة، وقد تضمنت المشاهدات والانطباعات عما رأيته في هذه البلاد، وإن الحافز إلى كتابة ذلك هو إيجاد مجموعة من كتب الرحلات الحديثة التي كتبها أبناؤها بلغتهم العربية ومحاولة نقل الصورة عن هذا البلد مما انطبع في الذهن وإحياء فن عربي قديم في أدب الرحلات حيث كان أسلافنا من الرحالة هم أربابه وأصحابه ولهم أشعار وكتب وأسفار حيث طافوا ورحلوا في مختلف بقاع العالم وجابوا آفاق الدنيا، وكانت رحلاتهم مصدراً من مصادر التاريخ والجغرافية واللغة والأدب وتجسد الكثير من القيم والأصالة والحقائق التاريخية والجغرافية والأدبية والاجتماعية فهي ذخائر

نفيسة، عسى أن أكون بذلك قد قدمت لهذا الفن الأدبي واللغة العربية الخالدة مما يجده القارئ الكريم في ثنايا هذا الكتاب وهو ما سيبقى في هذه الحياة بالنسبة لي من جميل الذكريات.

هذا وبالله التوفيق ،،

المؤلف

عبدالله بن حمد الحقيل

الرياض – ١٤٣٧هـ

بين نيويورك وميتشقان وأكولاهوما

تقع أمريكا في النصف الشمالي من القارة وتمتد على طول ٩٠٠٠ كلم وهي تقع ما بين المحيط المتجمد الشمالي والأطلسي والهادي وبها موارد اقتصادية هائلة وبعد رحلة طويلة حطت بنا الطائرة بعد عبورها المحيط ولكم مر بي من هاجس وخاطر ونحن فوق المحيط أتذكر فيه اكتشاف قصة البحار كريستوف كولمبس لأمريكا حيث توالى بعده المكتشفون وما كان لأسلافنا من دور كبير، فالمسلمون الأندلسيون قد سبقوه إلى البرازيل والبرتغال والأرجنتين حيث ذكروها في أخبارهم باسم الجزيرة الخضراء وما زال للعرب آثارٌ حتى الآن في تلك الديار من قبل وفي أمريكا اللاتينية فاسم قرطبة وغرناطة وقرطاجة لا زالت في كل مكان منها أثر.

ووصلنا مطار نيويورك في مساء يوم ٢٠/ ٦/ ١٩٧٣م فاستقبلنا المطر الغزير والبرد الشديد وهي أكبر مدينة في أمريكيا وهي المركز التجاري والثقافي والمالي وتقع على خليج نيويورك ساحل الأطلس وتعتبر الميناء الرئيسي برصف طوله ١٢٠٠كلم.

وبعد إنهاء الإجراءات المعتادة كانت سيارة المكتب الثقافي في انتظارنا، ومضت بنا تطوي الأرض وتجتاز الشوارع والميادين والأحياء حتى استقرت بنا في أحد فنادق نيويورك وسرحت طرفي في جنبات هذه المدينة الكبيرة أتأمل نيويورك المدينة التي طالما سمعت وقرأت عنها، حيث ناطحات السحاب العالية والذي يضم عدة جزر صغيرة وناطحات السحاب وشوارع مشهورة مثل: وول ستريت وهو المركز المالي.

وبعد استراحة في الفندق خرجت مع مجموعة من الرفاق نتجول في أسواقها وميادينها القريبة من الفندق والحياة فيها لا تفتر ليلاً ولا نهاراً وبها عدة جامعات ومتاحف ومكتبات ومعاهد وفيها عدد من اليهود والزنوج وبها أطول شارع في العالم «برودواي» إذ يبلغ طوله ثلاثين كم وميدان التايمز وغير ذلك من البحيرات والأنهار.

وبعد تمضية يومين في رحابها توجهنا صوب ولاية ميتشقان وفي مطار نيويورك يشاهد المرء أفواجاً من البشر وأصنافاً من الناس ونظاماً وترتيباً وعلى إحدى طائرات البوينج الأمريكية أقلعت بنا الطائرة في الساعة السابعة من الصباح وكان شريكي في المقعد أمريكياً من ولاية تكساس ذاهباً إلى ولاية ميتشقان فكانت فرصة للحديث وقد لمست منه تجاوباً وسروراً حيث كان متهلل الوجه فكان يشرح لي عن الحياة في أمريكا وتاريخ كل ولاية ونشاطاتها وحاصلاتها، وبعد ساعتين من الطيران هبطنا في مدينة «لانسنق» وكان الجو ممطراً وبارداً وفي المطار كان في انتظارنا مجموعة من الإخوان وقد كانوا في المطار منذ الصباح فأوسعونا ترحيباً وإيناساً وصحبونا بسياراتهم إلى فندق جامعة ميتشقان وبقينا تلك الليلة في سمر لطيف ولم يتركوا وسيلة لإكرامنا وتعريفنا بالولاية إلا اتخذوها وقد طرحت عليهم الكثير من الأسئلة والاستفسارات على حد قول الشاعر القديم:

وكثير من السؤال اشتياق وكثير من رده تعليل

وفي الصباح سرنا كما رسم لنا إلى إدارة الجامعة حيث قابلنا المسؤولين ثم خرجنا إلى معهد اللغة الإنجليزية فزرنا حجر الدراسة واستمعنا إلى مديره وأساتذته، ولقد رأينا في المعهد أعداداً كبيرة من أبناء الوطن العربي ممن حضروا لتحضير

الشهادات العليا ولقد امتلأت نفسي سروراً حينما ذهبت إلى المكان المخصص لصلاة الجمعة حيث وجدت عدداً كبيراً من الإخوة المسلمين من مختلف الأجناس.

وفي المساء خرجنا في صحبة إخواننا إلى أسواق المدينة ومشاهدة معالمها وميادينها ثم ذهبنا لأحد البنوك المجاورة للجامعة لفتح الحساب وإيداع النقود التي كانت بحوزتنا، وغدونا بعد ذلك إلى خارج المدينة حيث جلسنا في بعض الحدائق والمتنزهات الجميلة وذهبنا لتلبية حفل العشاء الذي أقامه أحد مواطنينا وشبابنا الأفاضل، والتقينا عنده بطائفة من إخواننا الذين يتلقون تعليمهم في هذه الولاية.

وبعد قضاء وقت ممتع ودعنا الجميع شاكرين لمضيفنا فضله وهمته – وكان الوقت متأخراً – قاصدين فندق الجامعة، وفي أثناء الطريق أصيبت سيارتنا بعطب عطل حركتها ولبثنا خمس دقائق في انتظار سيارة عابرة وإذا بسيارة الشرطة تقف بجوارنا وعلى الفور أخذوا في إصلاحها وإضاءة الأنوار لنا وهكذا لقينا من عنايتهم واهتمامهم ما جعلنا ننسى ما أصابنا من إعياء وتعب.

وفي الصباح غدونا إلى مركز اللغة الإنجليزية للدراسة فيه والتحق كل واحد منا بالمستوى المماثل له وقضينا في ربوع ولاية ميتشقان أياماً ممتعة رغم مضايقات الجو والثلج والبرد القارص مما جعل بعض الأيام عصيبة رغم ما وجدناه من إخواننا من أنس ومودة جعل لهم في قلوبنا أثراً لا يمحى وشكراً يتجدد.

ووسط هذه الأجواء فقد تفرق جمعنا ووجه كل واحد للسكن مع أقوام آخرين من غير جنسيته وبني جلدته ودينه فإذا بعضنا يشعر بالامتعاض والآخر يحس بالسعادة وفريق بين الرضا وعدم الرضا وعدم الارتياح، ولقد سرني أن يكون نصيبي السكن مع زميلين من الولايات المتحدة الأمريكية ولقد وجدت منهما

في البداية عدم الارتياح وخاصة عندما عرفا أني عربي فأمطروني بكثير من الأسئلة وسرى الخبر بسرعة في أنحاء الجناح الذي نقيم فيه فحضروا زرافات ووحدانا ليتفرجوا ويشاهدوا الضيف الجديد القادم من الشرق الأوسط ومن بلاد العرب، وفيما كنا نتجاذب أطراف الحديث وأجيب على الأسئلة والاستفسارات وبالطبع بلغة ركيكة ضعيفة وإذا بأحد الرفاق من زملائنا يدق الباب فسعدت به حيث ساعدني في فك حصار الأسئلة وقال لي: هلم بنا نبحث عن زملائنا فقلت: وكيف الوصول إليهم؟ فقال: هيا بنا فقد ضقت ذرعاً من هؤلاء، فخرجنا نتجول وسط الثلوج والبرد والمطر من عمارة إلى عمارة دون نتيجة مردداً قول الشاعر:

نزجي الأحاديث من سلوى ومن ألم ومن أمان ذوت فيهن أعمار

فضللنا الطريق حتى أغطش الليل وازداد الظلام، وكلما التفتنا إلى الخلف فإذا المناظر والطرق تمتلئ ثلوجاً وصدفة مرت إحدى السيارات الخاصة بأحد طلاب الجامعة فسألناه: أين نحن من مقر سكننا؟ فقال: أنتم على مقربة منه وأرشدنا نحوه، وسرنا نجتاز الثلوج ولا بد من التريث وإلا سقطنا عليه وهكذا مرت الأيام تترى وتتوالى سراعاً حتى كأنها ساعات في العمر في بحر الزمان.

وخلال وجودنا قمنا برحلات متعددة إلى عدد من الولايات والتعرف على معالمها وجامعاتها ومرافقها السياحية ومؤسساتها التعليمية والتربوية، والمعامل والمصانع على اختلاف أنواعها وقل أن تجد موقعاً من الأرض خالياً من البناء والزراعة والإصلاح والتعمير مما يذكر بقول الشاعر:

في ديترويت ترى الأنوار ساطعة بكل علم حباه الله للبشر

وذهبنا إلى ديترويت «Detroit» وهي أكبر مدينة في ولاية ميتشقان وخامس

مدينة في أمريكا وتقع على نهر ديترويت وبها أكبر تجمع لصناعة السيارات في العالم بمصانعهم الفخمة وصناعة الطائرات وبها مصافي البترول وأحواض السفن وزرنا ميناءها الضخم وجامعة ديترويت تأسست عام ١٩١١م ومن أشهر معالمها حدائقها الجميلة على جزيرة بيل في النهر بناها المستوطنون الفرنسيون عام ١٧٠١م، وهي أهم مدينة في الغرب والشرق على القائمة البحرية. ولقد قلت قصيدة مطلعها:

يـــا ديترويـــت رأينـــا فيـــك تقنيـــة تألقـــت في ســـمـــاء الغـــرب بالعمـــل

***

في معهد اللغة الإنجليزية في ايست لانسنق بولاية ميتشقان

بعد وصولنا إلى مدينة آيست لانسنج بولاية ميتشقان وبعد التسجيل ذهبت مع زملائي السعوديين إلى قاعة الاختبار ووزعت علينا أوراق الأسئلة وهي متنوعة وقد أديت الامتحان وسلمت ورقة الإجابة وانتظرت مع زملائي وهم قادة تربويون ومديرو تعليم في بلادنا وبقينا ننتظر النتائج وكأننا تلاميذ صغار في مدرسة ثانوية وأعلنت نتيجة الامتحان في صباح اليوم الثاني وجرى توزيعنا على عدة فصول حسب مستوى كل واحد منا وانتظمت في الدراسة في معهد اللغة الإنجليزية وفي كل شهر يجري لنا امتحان وينصحوننا على التحدث مع شخصيات أمريكية وكنا في الفصل من مختلف أنحاء العالم من الهند والصين وكوريا واليابان وماليزيا وغيرها ويطلبون منا التمرين على القراءة والقدرة على الحوار والاستيعاب للمفردات ومعرفة معانيها ثم يسمعوننا أشرطة مسجلة بها أسئلة يطلب الجواب عليها تحريرياً لقياس القدرة على الفهم وقد قال لي أحد الأساتذة: إن معرفة اللغة ليس عن طريق المعهد وحده وإنما تأتي عن المحادثة ومجالسة أبناء اللغة من الأمريكان ومحادثتهم وتعويد الأذن على الاستماع للألفاظ والكلمات وتدريب لسانك على الحديث وعدم التردد في ذلك وكنا نخاف من الخطأ في النطق ولكنهم شجعونا على ممارسة الحديث مهما كان وقراءة الكتب إلى غير ذلك والاستعانة بالقاموس لاستخراج معاني الكلمات التي لا نعرفها.

لقد انهمكنا في القراءة حيث نكتب معاني الكلمات ونحاول حفظها ولكن هذه الحالة لم تدم طويلاً حيث كنا نلتقي كل يوم مع الزملاء والإخوان العرب فكنا

نتحدث ونتحاور ونتدرب على الحديث باللغة الإنجليزية ثم ننطلق متحدثين باللغة العربية فبدلاً من أن نستفيد من ذلك في إجادة اللغة الإنجليزية يكون الحديث والنقاش باللغة العربية وأسرارها وخصائصها ومدارسها اللغوية ويطول النقاش والحديث حول ذلك ويبرر الزملاء ذلك بأنه لا بد أن نروح عن أنفسنا وألا ننسى لغتنا وما إلى ذلك من الطرائف مع خلط اللغة العربية بالإنجليزية وهكذا نحمد الله على محافظتنا على سلامة لغتنا العربية مع ما تيسر لنا معرفته من اللغة الإنجليزية.

ومن ولاية ميتشقان سافرنا إلى أوكلاهوما سيتي وهي عاصمة ولاية أوكلاهوما على نهر كندا وهي مركز تجاري وصناعي في منطقة زراعية تشتهر بإنتاج البترول وتكريره وصناعة معدات حقول النفط والطائرات الحربية تأسست فيها جامعة أوكلاهوما سيتي عام ١٨٨٩م.

***

في مدينة نورمان

هذه المدينة أحدث مدن ولاية أوكلاهوما ولقد أمضيت بها فترة من الزمن وهي بلدة هادئة وبها جامعة تضم عشرة آلاف طالب وبها عدد من الطلاب السعوديين.

ولقد حباها الله بالجمال وكنا نخرج في الأمسيات والإجازات إلى ريفها ومتنزهاتها لنرى المزارع والمراعي والبساتين والزهور، وبجوارها بحيرة من أروع البحيرات تبعد عن نورمان خمسة عشر كيلاً وعلى جوانبها حدائق فواحة بالزهور والرياض وميادين فسيحة لوقوف السيارات وبجوارها مزارع نشتري منها الأغنام ونذبحها على الطريقة الشرعية.

وعلى ضفاف البحيرة كانت اللقاءات والاجتماعات للجاليات العربية وإقامة الحفلات والدعوات حيث إن المكان واسع فسيح إلى جانب نسمات الصبا ونفح الورود، إن هذه المناظر الخلابة الساحرة توحي بالشاعرية، فقد كنا خلال تلك النزهات الإخوانية نتطارح فيها الشعر ومسامرات أدبية.

كم جلسنا على ضفاف البحيرة في سرور وبهجة ومحبة

ولقد قمت بجولات عديدة وشاهدت الكثير من الولايات الأمريكية مثل أنديانا، شيكاغو، أوهايو، بنسلفانيا، تكساس، واشنطن، ميزوري، ميتشقان، كاليفورنيا، أوكلاهوما، واشنطن، نيويورك، سان فرانسسيكو، فيلادلفيا، كيفلاند، أتلانتا، أنابوليس، أوستن، بوسطن، تورنتو، ميامي، كولومبس.

ولقد وجدت الولايات المتحدة الأمريكية باتساعها الجغرافي وتنوع سكانها

النازحين من أوروبا وغيرها أنها مجتمع غريب التركيب، فتنوع أولئك السكان وتلك السلالات البشرية المتعددة جعلها من أكثر بلدان العالم تنوعاً بل وغموضاً ولكن الطواف بهذه البلاد الشاسعة سيجعل المرء دون شك يزداد خبرة ومعرفة بحياتها فرأيت أمريكا في خيرها وشرها ونعيمها وبؤسها ونظامها وحياتها وشدتها ورخائها وصيفها وشتائها وشبابها وكهولها ومدنها وقراها، فيها المدن المزدحمة والبلدان المكتظة والمصانع العتيدة والمتاجر الرائعة والثقافات الحديثة والأراضي الخصيبة والأنهار الجارية والبساتين الممتدة وحقول القمح التي لا يبلغ البصر منتهاها والمزارع الواسعة الخصبة وألوان الحضارة المتنوعة والجامعات وتتشابه في عاداتها وتقاليدها.

ومع ذلك فهناك عدد من الولايات تهب عليها في الشتاء ريح صرصر عاتية تسمى «الترنيدو» مصحوبة بمطر غزير وعاصفة هوجاء فتقلع الأشجار وترمي الأحجار وتضرب الجسور وتهدم البيوت وتقطع خطوط الهاتف والماء والكهرباء ويتابع مركز الأنواء الجوية بث التحذير من خلال المذياع والتلفاز ولكم واجهت تلك العواصف في مدينة «نورمن» وخلال رحلاتي إلى تكساس ولكن الله كان بنا رحيما.

وهكذا حوت هذه الأرض أموراً شتى ومناخات متعددة وكما قيل:

وقد حوت في طواياها هوى وهدى ... لكل منغمس فيه ومدكر

ترى بها الضد تلو الضد قد جمعا ... فيها وتلقى اندماج الصفو بالكدر

***

تجوال في واشنطن

كانت الدعوة لحضور مؤتمر تربوي حيث ركبنا الطائرة من مدينة نورمان في شهر رمضان المبارك يوم ٧/ ٩/ ١٣٩٣هـ مع مجموعة من الزملاء الدارسين في جامعة أكلاهوما وبعد الوصول والتوجه إلى أحد فنادقها ذهبنا في اليوم الثاني من الفندق الذي ننزل فيه إلى مقر الاجتماع مروراً بشوارعها الفسيحة وفخامتها وكثرة السيارات مروراً بمنطقة البيت الأبيض وحدائقه الجميلة، كان المؤتمر كبيراً حقاً نظراً للحضور له من الشرق والغرب وكان حافلاً بالعديد من البرامج وورش العمل.

وفي العصر كانت الدعوة لحفل الغداء وكنا صائمين وبقينا وقوفاً فتعجب المنظمون للمؤثر من عدم الجلوس وتناول الغداء مع الوفود فأخبرناهم بأننا في شهر رمضان، وهو شهر الصيام للمسلمين، فكانت فرصة للحديث والتساؤل عن شهر رمضان وقيمة الصيام حتى يستقبل المسلمون هذا الشهر بالحفاوة والمحبة فهو شهر الخير والبركة والنشاط والعمل حيث إن له طابعاً روحياً فهو ربيع المؤمنين تزدهر فيه خواطر العقل ومشاعر النفس وعواطف الوجدان حيث يعيش الجميع في ترابط اجتماعي ومودة وتعاون وصفاء ورحمة وتعاطف وهو شهر له تاريخ عظيم وانتصارات مجيدة في التاريخ الإسلامي وطرحت بعض الأسئلة والتساؤلات حول الخصائص التي يتميز بها رمضان التي تجعله سيد الشهور كما أن الصيام علاج لكل الأمراض يربي الروح ويقوي الإرادة.

وبعد انتهاء المؤتمر حول دور القيادات التربوية والإدارية وكانت البحوث خلاصة مفيدة ومتنوعة لتجارب تربويين وهي قيم مهمة لنجاح العمل لقد كان

السفر في هذه الرحلة ممتعاً ومفيداً ثم قمنا بجولة في أنحاء واشنطن التي تتميز بتخطيط وتنسيق جميل كما أن شوارعها مسماة بأسماء الولايات وذهبنا لزيارة البيت الأبيض في جولة سياحية حيث تفتح أبوابه يوم الاثنين حيث يدخل السياح في بعض غرفه بالطابق الأرضي ومشاهدة الغرفة التي يقع فيها مكتب الرئيس وقد حدثنا الدليل عن البيت الأبيض وتاريخه وقال إنه كان سابقاً باللون الرمادي ثم شب فيه حريق ترك آثاراً سوداء على جدرانه فأعيد طلاؤه باللون الأبيض وكان السياح يقفون في صف طويل يتجاوز ثلاثة أميال ويقف الناس ساعات طويلة حتى يدخلوا القصر ويجولوا في مسار محدد والأدلاء يشرحون لهم ما يشاهدونه واستغرقت جولتنا ساعة وبعد أن خرجنا من القصر الأبيض توجهنا مع الدليل السياحي لزيارة بعض المعالم في مدينة واشنطن والتجول في رحاب هذه العاصمة حيث زرنا المركز الإسلامي ومسجد واشنطن والسفارة السعودية ومكتب الملحق الثقافي السعودي ومكتبة الكونجرس وبعض الجامعات الأمريكية في واشنطن ثم ذهبنا لزيارة الكونجرس والتقينا بممثل ولاية أوكلاهوما الذي رحب بهذه الزيارة وقام يشرح لنا الكثير من المعلومات عن هذا المجلس وتاريخه ومنجزاته وقد شعرنا برحابة صدره حيث طرحنا عليه الكثير من الأسئلة ثم خرجنا وتناولنا طعام الغداء في إ:حدى القرى المجاورة لواشنطن ثم عدنا بعد جولة في فرجينيا على واشنطن وهي المدينة العاشرة من حيث السكان إذ لا يتجاوز عدد سكانها أربعة ملايين نسمة وبها عدد من الزنوج والأسبان بعكس المدن الأخرى مثل نيويورك، ولوس أنجلوس، وسان فرانسسكو وشيكاغو، وغيرها واختيار العاصمة مدينة صغيرة يحقق مميزات عديدة.

***

خواطر وذكريات عن شهر رمضان في أمريكا

تخللت إحدى رحلاتي إلى واشنطن حضور أكثر من مؤتمر ومنها مؤتمر في رمضان، إن المسلم مطالب أن يكون فخوراً بدينه ومعتزاً بكتاب ربه وسنة نبيه ﷺ واثقاً بأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين مطمئن القلب إلى أن الإسلام هو دين الحق وأنه لا حق إلا الإسلام.

ولذا فإن على الفرد المسلم أن يحرص على تطبيق شعائر الإسلام والإلتزام بأحكامه وقواعده في أي مكان فذلك هو الثروة الروحية العظيمة التي تجعل الإنسان يمشي على الأرض بالحكمة ويهتدي إلى السلوك المستقيم. فالمؤمن بإيمانه وعمله الصالح سعيد في دنياه بسلامة صدره وطيب نفسه وتجدد أمله وانتظاره لرحمة ربه وسعيد في آخرته بإيمانه وصالح عمله يقول الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[1].

والإيمان صانع المعجزات إذا تمكنت بشاشته من شغاف القلوب فإذا أوتي الإنسان هذه النعمة وعمر قلبه بها هانت عليه الدنيا ولو علم الناس فضل الصيام لهانت عليهم أمور كثيرة ولأقبلوا عليه يطلبونه بسماحة نفس وشغف وشوق، كنت أحضر مؤتمراً للتعليم في واشنطن وقد ضم هذا المؤتمر وفوداً شتى وكان ذلك في شهر رمضان وقد حضر المؤتمر عدد من المسلمين وبعد أن ألقيت الكلمات وكنا نسمعها من خلال السماعات المثبتة في المقاعد وبعد ذلك دعي الحضور إلى مائدة

(١) سورة النحل، الآية: ٩٧.

الطعام، وقد اجتمع الإخوة المسلمون وقوفاً في آخر المائدة وكان الجميع صائماً وقد كان ذلك موضع تعليقات الوفود واستغرابهم.

وعندما كثرت التساؤلات ولفت ذلك نظر الحاضرين جاء رئيس الحفل فأخبرناه بأننا في شهر عظيم هو شهر رمضان وفيه يفرض الصيام. وجعل الله الصيام شهراً كاملاً وهو عبادة للمجتمع المسلم بأسره، ثم قال بأدب هل يتقدم أحدكم بكلمة توضح للحاضرين ذلك فكانت مناسبة طيبة أن يتحدث المرء أمام هذا الجمع الحاشد والجمهور الكبير من مختلف الأجناس والأديان وعندما طلب رئيس الحفل من الحاضرين ذلك ضجت القاعة بالتصفيق، فتحدثت وعلى الفور قام أحد الزملاء ممن هو متمكن في اللغة الإنجليزية بالترجمة، وبعد الحديث والتعريف بالإسلام كان الحديث عن رمضان فهو كف النفس عن شهواتها في وقت حدده الله وهو من طلوع الفجر إلى غروب الشمس طوال شهر رمضان وهذا الامتناع عن الطعام والشراب يحتاج إليه الفرد كما يحتاج إليه المجتمع فكلاهما في حاجة إلى ضوابط تحول دون الانحراف وتقيم في النفس رقابه ذاتية تمنع الإنسان أن تمتد يده إلى حرام أو تمتد عينه إلى ما يغضب ربه أو يفكر قلبه في إثم أو فاحشة وهذا كله يحققه الصيام.

فالصيام تربية روحية وأخلاقية وذاتية وتربية الإرادة القوية التي تدفع صاحبها إلى فعل الخير وتجنب الشر ويستمر هذا الدرس والتوجيه للإرادة شهراً كاملاً كل عام حتى يصير الإنسان بعد ذلك صاحب عزيمة قوية وإرادة صادقة ويقدر أن يقف أمام الشدائد بقلب قوي وروح معنوية عالية.

وبهذه الإرادة يرتفع الإنسان إلى مستوى القوة والمسؤلية والشجاعة فالصوم

جهاد للنفس وتربية لها على القوة والصمود وأن الأمم كلما كان أبناؤها يحملون بين جوانحهم العزمات القوية والإرادة الصلبة كلما كان أدعى لنجاحها وانتصارها ووقوفها في مواجهة أعدائها وهذه الإرادة تتربى من خلال الصوم والذي جعله الله أحد أركان الإسلام الخمسة.

وقد كانت ترجمة زميلنا فائقة رغم سرعتها وشكرنا رئيس الحفل والحاضرون على مجاملتهم الكريمة وإتاحة هذه الدقائق لإيضاح الحكمة الإلهية من فريضة الصيام، وقد كان سرورنا بالغاً حينما رأيناهم يطرحون الأسئلة عن الإسلام وقد كان البعض يتحدث عن ذلك من خلال معرفته ببعض الشخصيات الإسلامية وما قرأه في الصحف والمجلات وقد كنت أعجب لأمر لاحظته فيهم هو أن البعض حريص على التعرف على الدين الإسلامي ولذا يبدو منه الترحيب والحفاوة وحب النقاش والاستفسار وطلب الإيضاح لبعض المسائل الدينية وعلى أية حال فإن رسالة المسلم أن يحرص على أن يكون قدوة حسنة في أي مكان وكلما أتيحت له الفرصة عليه أن يشرح رسالة الإسلام ويوصلها إلى أكبر عدد ممكن وخاصة لأولئك الذين لم يعرفوه أو يسمعوا به أو يتصوروه وقد قال أحد الحاضرين ندرك عالمية الإسلام وسعة مظلته. فقلت له إن الإسلام دين المحبة والتسامح والحوار والبناء والسلام.

لقد أمضينا شهر رمضان حافلاً بالذكريات الطيبة وقد كانت فرصة للحديث عن هذا الشهر باستفاضة وإسهاب مع الزملاء في الجامعة من شتى الأجناس والديانات وكانت الأسئلة تنهال علينا منهم وصادف أكثر من مرة اللقاء والمناقشة مع بعض الأساتذة المتخصصين في اللغة العربية والدراسات الإسلامية ونجري حواراً علمياً معهم عند رمضان والاستشراق والاستغراب واطلعت على عدد من

البحوث والكتب في مكتبة الجامعة عن آفاق الاستشراق الأمريكي المعاصر وغير ذلك من الكتب التي تسلط الضوء على الإسلام لقد كنت أعيش في رمضان نفحات إيمانية رغم المشاهد الكثيرة وتنوع المواقف المتعددة والمؤمن يسير في حياته على خطى ونظام يستغل من خلالها كل مقدار من وقته لأنها محسوبة عليه في سجل الآخرة ولكم تذكرت قول الخليل أحمد الفراهيدي حين قال: «أثقل الساعات علي ساعة آكل فيها ولا أعمل» فكم لرمضان من خصائص وفضائل والتي يجهلها الكثير من المسلمين وغيرهم وكنت أقول للزملاء: أبداً الدراسة في رمضان لا تتعارض مع روحانية الشهر الكريم وإن دعوتنا وتعريفنا هنا برمضان إنما هي رسالة نتحدث للآخر عن مضمونه ولقد قيل: إن الصيام هو حرمان مشروع وتأديب بالجوع وتذلل لله بالخضوع ليعلم الغني وقع ألم الجوع.

إن الصيام في أمريكا كان صعباً وكنا نتغلب على المصاعب من خلال الموائد الرمضانية المشتركة مع الزملاء السعوديين والمسلمين ونقيم اللقاءات الثقافية فضلاً عن تلاوة القرآن الكريم، لقد صمت رمضان في عدد من البلدان العربية والأجنبية ولكني لا أرى أمتع وأبهج من رمضان في المملكة العربية السعودية حيث الجو الروحاني الذي يعبق بالخير والبركات ويشع بالبهجة والأنوار ويفيض بمشاعر الإيمان وبخصائص رمضان وفضائله وروحانية الشهر الكريم وقد كان رسول الله ﷺ إذ هل هلاله بشر أمته بإهلاله وقال: «**أيها الناس قد جاءكم شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب النار وتصفد فيه الشياطين فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم**» وما أكثر ما قيل في فضل رمضان.

وكم في رمضان من فضائل وأحداث وعبر ودلالات فهو مدرسة للأجيال

تتجسد فيه ملامح التلاحم بين المسلمين وتكثر دواعي الخير يصقل الإيمان في القلوب ويحرك المشاعر الفياضة في النفوس فتعطي دروساً في الوحدة والإخاء والتعاون والصفاء والبر والصلة والخير والصبر والشجاعة إنها منهل عذب مفعم بفضائل الأعمال ومحاسن الفعال ومكارم الخصال.

شهر له في قلوب الناس منزلة وفي القلوب له نور المصابيح

***

مناسبات وفعاليات ثقافية وذكريات رمضانية

ما أسعدني خلال أيام الدراسة في أمريكا مجدداً الارتشاف من معين العلم والمعرفة وتجديد اللقاء بزملاء أعتز بصداقتهم كل الاعتزاز وأقدر أخوتهم كل التقدير في عدة جامعات أمريكية حيث نلتقي في عدة مناسبات ولقاءات في مؤتمرات تربوية ومن الصعب على مثلي أن يعبر عما لقيه من حفاوة أولئك الزملاء وثقتهم حيث اختاروني إماماً وخطيباً للجمعة وعيد الفطر والأضحى في جامعة أوكلاهوما التي خصصت لنا مكاناً واسعاً في كل يوم جمعة وكان الشخص الذي عهد إليه بتنظيم المكان وترتيبه يوم الجمعة شاب أمريكي يتسم بدماثة الخلق وكريم السجايا وقد كلفت أحد الإخوة الباكستانيين بترجمة ملخص للخطبة مما ساعد على استيعاب ما كنت أقوله باللغة العربية.

لقد كنا نجد في هذه الجامعة مودة وتقديراً لبلادنا واحترام مشاعر المسلمين – وفي هذه الجامعة شعرت وكأني عدت إلى أيام الدراسة التي كانت من أسعد الأيام ووجود المستوى العلمي المفيد – ولقد كنت قرير العين مبتهج الفؤاد في كل حفل ومناسبة ونشاط اجتماعي وثقافي.

إنها ذكريات بهيجة في ظلال وارفة من المحبة والبهجة والسعادة، برفقة زملاء يبادلونك الود وينتشي القلب بحديثهم العذب.

***

في حفل الليلة العربية

تضم ولاية أوكلاهوما عدداً من الطلاب العرب وقد رغبوا في تنظيم حفل غربي في جامعة أوكلاهوما يدعون إليه أساتذتهم وزملاءهم ومن هم يتعاطفون مع العرب ويتحمسون للإسلام، ووجهت رقاع الدعوة إلى أعداد أخرى خارج الولاية، فكان حفلاً رائعاً يجسد الشرق بجماله وحضارته ومجده التليد وروابطه التاريخية، وما أن حان وقت الحفل حتى شاهدنا أعداداً كبيرة من الناس تهرع لحضور هذا الحفل حتى غصت القاعة الكبرى في مدينة نورمان بالمدعوين من الأساتذة والطلاب ورجال العلم والمعرفة والمراكز الإسلامية فكان لقاء كريماً ازداد التعارف فيه بين الحضور.

وخلال الحفل ألقيت الكلمات والأناشيد والرقصات الشعبية وقدم الطعام العربي الشرقي اللذيذ وأعقبه دقات طبول وأصداء العرضة السعودية.

واستجابة لرغبة الزملاء رأيتها فرصة طيبة فنهضت متحدثاً عن مراكز الثقافة الإسلامية في العصور السالفة وكيف كان الشرق منارة تشع فيها أنوار العلم والعرفان، وكيف خبا ذلك النور، ثم أردفت القول بهذه القصيدة بناء على طلب الإخوة والزملاء:

حـــي الجميـــع بليلـــة عربيـــة ... جمعـــت كـــرام الصـــحب والأمجـــاد

يـاليلـــة جمعتنـــا وســـط ولايـــة ... بجنـــوب أمريكـــا بـــلا ميعـــاد

قـــد زانهـــا حســـن التعـــاون والإخـــاء ... هاجـــت مـــن الأشـــجان كـــل مـــراد

وغـــدت بـــذكرى شـــرقنا وجمالـــه ... وزهـــت تتيـــه بـــه علـــى الأنـــداد

أيامه الغر الوضاء توهجت ... في خاطري وتضوعت بمداد
يا إخوتي في الضاد ألف تحية ... تترى مدى الأيام والأبعاد
فلئن تجمعنا هنا في ليلة ... فالقصد تعريف بكل بلاد
فروائع الأمجاد قد كانت بها ... ومفاخر التاريخ والإسعاد
وبحيرة بالحسن يا لجمالها ... والروض طوقها بحسن أياد
وسنذكر الأيام وسط ربوعها ... بعد افتراق الجمع والآحاد
مرحى بمن قد جاء يحضر حفلنا ... من سائر الأرجاء والأنجاد
متكبداً طول الطريق وبعده ... ومتاعب «الهاي وي» والترناد
قد جاء من تكساس أو واشنطن ... نيومكسيكو ميشقان ومن نيفاد
ميشقان فلن أنسى بها أيامنا ... تلك الولاية ذكرها بفؤادي
فصلان قد أمضيتها بربوعها ... بلد الثلوج على الربا ووهاد
وتحية للحاضرين جميعهم ... بمشاعر ومحبة للضاد

لقد اتيحت لي الفرصة خلال الدراسة في جامعة أوكلاهوما مع مجموعة كبيرة من الإخوان السعوديين والعرب وازدادت معرفتي بالغرب وثقافته وحضارته وتاريخه وزاد الاهتمام باللقاءات مع الزملاء في المناسبات والندوات والمؤتمرات التربوية التي دعينا لها في عدد من الولايات وكذلك الاحتفال بالعيد وبشهر رمضان فشاركت في تلك المناسبات بقصيدة عن العيد وما يحمله من معان دينية وإنسانية واجتماعية وحينما جاء العيد جدد حلوله كثيراً من الذكريات الجميلة والتواصل مع الإخوة والزملاء ولقد انتشرت هذه الأبيات مما أبقى في نفسي أبلغ الأثر وأجمل الذكريات.

وخلال اللقاءات في شهر رمضان كانت هذه القصيدة:

أهلاً برمضان موسم الخيرات

رمضان جاء وجاءت الأنباء ... والبشر والدنيا به بشراء
وبه الهدى والنور والخير الذي ... لا ينتهي والحق والآلاء
شهر من الخير العميم وموسم ... للروح وانجابت به الظلماء
هُوَ مَنْ هو الحب الكبير طهارة ... للنفس منه اهتزت الأرجاء
شهر الصيام تهجداً وتبتلاً ... عزت به الأيام والأحياء
يا رب أكرم بالصيام وجوهنا ... فتعود أيام لنا غراء
ويعود للإسلام مجد باذخ ... ويعم دار المسلمين رخاء
بك يا جمال العام تم سرورنا ... وبك المنى واهتزت الصحراء

وقصيدة أخرى خلال إحدى اللقاءات في هذا الشهر الكريم مع الزملاء قائلاً: أيها الزملاء بمناسبة قدوم شهر رمضان المبارك موسم الخير والأمجاد، وشهر النفحات الإيمانية والمكرمات .. يطيب لي أن أهنئكم بمقدمه، راجياً من الله أن يجعله من أحسن فرص التقرب إلى الله وأن يرزق الجميع القبول والرضوان وأن يعيده كل عام وأنتم في أحسن الأحوال، وعلى بلادنا بمزيد من الخير والرغد والأمن والرقي والازدهار، وعلى الأمة الإسلامية بالنصر والعزة والقوة والسؤدد.

فأهلاً وسهلاً بشهر الصيام ... يزيل من النفس أضغانها
نرحب بالشهر في موسم ... يقوي من النفس إيمانها
وأهلاً وسهلاً بشهر الصيام ... ينقى عن النفس أدرانها
وأهلاً وسهلاً بشهر الصيام ... يشعشع في الروح عرفانها
وموسمه ثروة لم تزل ... لمن بالتقى والهدى صانها

سدد الله الخطى ومنح الجميع التوفيق والتقوى.

واحتفلنا بالعيد وكلما حل العيد جدد حلوله كثيراً من الذكريات الجميلة وقد أوحت هذه المناسبة بهذه النفحات:

حيث إن العيد موسم كريم ومناسبة جميلة، وليكن عيدنا عيد النفس الشاكرة المشرقة والمفعمة بالأمل والرجاء والابتهاج.

العيد أقبل في سناء وضاء ... في خير وجه للعلا ورواء
عيد السلام وعيد دين الله في ... شتى البقاع وسائر الأرجاء
يا يوم عيد المسلمين وبرهم ... لك في الفؤاد محبتي وولائي
بك كرم الله العظيم جموعنا ... وشدت بذكرك ألسن الشعراء
ما أنت إلا الشمس يبزغ نورها ... في الأفق أنت النور في الظلماء
ولك الأيادي البيض عند فقيرنا ... وغنينا ولك الغداة عطائي
يا عيد عم الخير كل بلادنا ... والله يعلي الدين في النعماء
المجد للإسلام والدين الذي ... عزت به الدنيا بخير رجاء
وبه الشعوب تسير في نهج لها ... سعياً لنيل المجد والعلياء

لقد كانت أياماً جميلة لم يبق من تلك الأيام والليالي سوى رنين الذكريات مردداً قول الشاعر:

وليست عشيات الحمى برواجع ... عليك ولكن خل عيناك تدمع

***

الرحلة الثانية لأمريكا في عام ١٤١٤هـ

أدب الرحلات فن متميز عنى به أسلافنا فهو من أوسع أبواب المعرفة والثقافة الإنسانية ولقد شغف الكثير بمتابعة وقراءة كتب الرحلات لما فيها من أدب ممتع وقد فطر الله الإنسان على حب البحث المستمر عن الحقيقة وحب المعرفة والاستطلاع والتعرف على هذه الدنيا وأحوال العالم والأمم ومظاهر الحياة منها كما قال الحريري:

نقل ركابك عن ربع ظمئت به إلى الجناب الذي يهوى به المطر

وما زالت رحلات بن فضلان وبن جبير وبن بطوطة تتجدد على مدى الأيام ويطيب لي أن استعرض بعض الانطباعات عن الرحلة التي قمت بها إلى بعض الولايات الأمريكية لم تكن هذه الرحلة إلى أمريكا هي الأولى فقد كانت زيارتي لها عام ١٣٩٤هـ وكانت الزيارة إلى بعض الولايات الشمالية أما هذه الرحلة فقد كانت إلى الغرب وكانت هذه هي الزيارة الأولى وعلى متن إحدى طائرات الخطوط الجوية العربية السعودية التي أقلعت في الساعة الواحدة ليلاً من صباح الأربعاء الموافق ٢٣/ ٢/ ١٤١٤هـ متوجهة إلى نيويورك عبر باريس وبعد ست ساعات من الطيران هبطت الطائرة في باريس للتزود بالوقود ثم استأنفت السير إلى نيويورك وعبر المحيط وكنت أفكر بهذه المسافة الطويلة وتاريخ هذه القارة ومكتشفها «كولومبس» في القرن الخامس عشر الميلادي هذا الإيطالي المغامر الذي كان يطمح إلى الوصول إلى مناطق كثيرة في العالم كالهند والصين وبقى سنوات في إسبانيا يجمع المساعدات ويعمل على تحقيق آماله وطموحاته وانطلق من أحد الثغور الإسبانية

بثلاث سفن في عام ١٤٩١م وقاد عدة حملات وواجه المشاق والمتاعب لقلة المعلومات التي كانت متوفرة في ذلك العصر وحينما شاهدت المحيط الشاسع أدركت سر تخوف مرافقيه وطلبهم منه العودة لولا جراءته وصموده وقوله لهم لا تخافوا.

لقد حقق باكتشافه هذه القارة العظيمة انجازاً كبيراً مفيداً للبشرية وللحضارة ولقد كانت الأسفار والرحلات فيما مضى عملاً شاقاً ومضنياً حيث كان الرحالة يتعرضون لحالات كثيرة كالخوف والضياع وتقلب المناخ وتبدل الأجواء وطول الطرق ومصارعة أمواج البحار والقراصنة ووحشة هذه المحيطات والسير في الفيافي والبحار قائلاً:

ترقصنا الرياح بكل عنف وقانا الله شر الطائرات

وخلال عبورنا المحيط قلت:

عبرنا البحر في ليل بهيم به السحب الثقال الموحشات

لقد كانت الرحلة من الرياض إلى نيويورك أربع عشرة ساعة بين ظلمة الليل وبين طيات السحب والغيوم ووحشة المحيط ومضت الطائرة تشق أجواز الفضاء في هدوء مهيب يلهب في الذهن والخواطر خيالات كثيرة وقد تسلل النعاس إلى الكثيرين من الركاب وقمت متنقلاً بين عدد من الأصدقاء من الركاب فمنهم من يدرس في أمريكا ويحضر للدكتوراة ومنهم من يسافر لأول مرة فرأيت من هو في منتهى النشاط ومن يغالبه النوم ووجدت مجموعة من الشباب السعودي ممن يدرسون في أمريكا لديهم رغبة البحث التاريخي والجغرافي وطرح أسئلة كثيرة عن الأدب والصحافة والسؤال عن كتب التراث والمجلات السعودية وعن تطور بلادنا

ورقيها وازدهارها وغير ذلك مما يتسلى به المسافرون على حد قول الشاعر كثير عزة:

أخـذنا بـأطراف الأحاديـث بيننـا وسـالت بأعنـاق المطـى الأبـاطح
وشـدت علـى دهـم «البـونج» رحالنـا ولم ينظـر الغـادي الـذي هـو رائـح

ولقد حكى الإخوة من شبابنا قصصاً وروايات وطرائف عن أمريكا وعن جامعاتها وعن أساتذتهم وعن نظام الحياة وأساليب التعامل فصرنا نتجاذب أطراف الأحاديث وبعد وقت طويل جاءت المضيفة قائلة: أستأذنكم في إطفاء الأنوار ليتسنى لمن يريد النوم أن ينام هادئاً وأحضرت لنا ما يشبه النظارة السوداء لوضعها على العيون حيث إنها دقيقة ولا يتسرب من خلالها الضوء، ومن عادتي عدم النوم في الأسفار سواء في الطائرات أو غيرها وبقيت بعد أن نام الكثيرون من الركاب أردد قصيدة امرئ القيس في مناجاته الليل:

ألا أيهـا الليـل الطويـل ألا انجلـي بصـبح ومـا الإصـباح منـك بأمثـل

وغيرها من القصائد والأشعار مما أحفظه ويقال في مثل هذه المناسبات وأطللت من النافذة على المحيط بعد أن كان منظره رهيباً بدأ انبثاق إشعاع الفجر فنهضت لتأدية صلاة الفجر وشعرت بالراحة والسكينة أتأمل عظمة الخالق وهذا الكون العظيم وأردد قول الله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴾[1]، وأخذت أشاهد هذا الكون العظيم وهذه البحار من ثقب الطائرة حتى أشرفنا على نيويورك مدينة ناطحات السحاب والتجارة والصناعة فهي مدينة كخلية نحل تمور بالحركة والنشاط والبشر والعاملين في مختلف ضروب الحياة

(١) سورة الزخرف، الآية: ١٣.

وميادين العمل في حركة دائمة وهذا بعد رحلة فضائية استمرت زهاء أربع عشرة ساعة هبطنا في مطار جون كندى الدولي مردداً قول الشاعر العربي:

الأرض قـــد كســـيت رداء اخضـــرا والطـــل ينثـــر في رباهـــا جـــوهرا

***

في سان ديقو sandiego

وبعد تمضية يوم في مدينة نيويورك وجولة في معالمها وشوارعها عدنا إلى المطار استعداداً للسفر إلى مدينة «Sandiego» سان ديقو والإقلاع من مطار جون. ف. كندى «متوجهين إلى ولاية كاليفورنيا» على طائرة الخطوط الجوية الأمريكية وبهذا المطار عدة مطارات فلكل شركة طيران مطار مستقل بها وهذا المطار مزدحم على الدوام بالطائرات المقلعة والقادمة من مختلف البلدان للهبوط إلى جانب رتل كبير من الطائرات الرابضة.

وصعدنا إلى الطائرة في الساعة السادسة مساء وأدارت الطائرة محركاتها ثم سارت في طابور طويل من الطائرات المتوسطة والصغيرة والعملاقة المتوجهة إلى مختلف بقاع العالم وبعد انتظار دام خمس عشرة دقيقة أقلعت الطائرة متوجهة إلى كاليفورنيا على السواحل الغربية للولايات المتحدة عبر أراضيها الواسعة الشاسعة وكانت الطائرة مليئة بالركاب من مختلف الأجناس من ذوي الأشكال والثقافات المختلفة.

وبدأت استرجع شريط الأيام عندما أعلن قائد الطائرة أننا نمر عبر ولاية (ميتشقان) تلك الولاية التي كانت قد أمضيت بها فصلين دراسيين في جامعتها عام ١٣٩٣هـ وكانت جامعة عريقة تمتلئ بالشباب السعودي الناهض والذين تخرجوا وتبوأوا مراكز قيادية في مختلف الميادين وشتى المجالات وكانت هذه الولاية تمتاز بجامعتها وطبيعة أرضها وبحيراتها إلى جانب بردها الشديد وأمطارها المتواصلة وثلوجها البيضاء وكنا كل صباح نغدو إلى معهد اللغة الإنجليزية في جو صعب

وأمضينا في ربوعها أياماً ممتعة رغم مضايقات الجو والثلج والبرد القارس مما جعل بعض الأيام عصيبة رغم ما وجدناه من إخواننا من أنس ومودة جعل لهم في قلوبنا أثراً لا يمحى وشكراً يتجدد.

ولكم تجولت وسط الثلوج والبرد والمطر وضللت الطريق حتى أغطش الليل وكانت الطرق تمتلئ ثلوجاً ولقد ذكرت ذلك في قصيدة طويلة ألقيتها في حفل الليلة العربية ومن ذلك:

ميشقان فلن أنسى بها أيامنا ... تلك الولاية ذكرها بفؤاد
فصلان قد أمضيتها بربوعها ... بلد الثلوج تغطي كل جماد

ومن خلال النافذة امتد نظري إلى ولايات متعددة ذات تاريخ وثقافة ومميزات شتى وجاءت مضيفة الطائرة تعرض علينا أنواعاً شتى من المأكولات مما لديها وبدأت توزيع أطباق من الطعام وبدأت أفواه الركاب تمضغ الطعام والأسنان تطحن كل ما قدم من طعام شهى وكنت مع أحد الركاب نتجاذب أطراف الحديث وتبين لي أنه من أصل عربي وقد هاجر إلى هذه الديار من خمسين عاماً وتشعب الحديث عن الحضارة الأمريكية وكيفية تطورها وبناء هذا المجتمع المتجانس والباحثين والعلماء العرب الذين يعملون في مراكز الأبحاث العلمية والطبية الأمريكية وما يجرونه من أبحاث وتجارب تفيد العالم وعن الشعر والأدب والجامعات وما إلى ذلك مما يتسلى به المسافر حتى لاحت لنا ولاية كاليفورنيا واقتربنا من مدينة «سان دييقو» وهبطنا في مطارها بعد تمضية ست ساعات من الطيران وكان في استقبالنا الابن ماجد عبدالله الحقيل ومجموعة من زملائه أوسعونا ترحيباً وإيناساً وصحبونا بسياراتهم إلى المكان المخصص للإقامة والسكن وكان

الجو جميلاً ومعتدلاً وكنت أطرح عليهم الكثير من الأسئلة والاستفسارات عن هذه المدينة وحياتها وتاريخها وجامعتها على حد قول الشاعر القديم:

وكـــثير مـــن الســـؤال اشـــتياق وكـــثير مـــن رده تعليـــل

إن الحضارة الأمريكية تمثل حضارات شتى تقوم على التعددية فقد حباها الله بمخزون ضخم من الموارد الطبيعية والمساحات الشاسعة من الأشجار والأراضي الزراعية الخصبة والأنهار والمياه الهائلة فهي قارة بأكملها واستوطنها أعداد هائلة من المهاجرين بمهاراتهم وتراثهم الحضاري في نمو البلاد ويعملون في أمريكا على ترسيخ الانتماء بين السكان وصهرهم في بوتقة واحدة، تلك قراءة سريعة خلال زيارة لبعض المتاحف التي تبرز النمو والازدهار وتاريخ الولايات المتحدة الثلاث عشرة الأصلية الواقعة على ساحل الأطلسي حتى امتدت الولايات المتحدة غرباً عبر القارة بأكملها وطوال القرن التاسع عشر حتى القرن العشرين كانت الهجرة التي أسهمت في نمو البلاد واستوطنوا وادي المسيسيبي والسهول الكبرى ثم عدوا جبال الروكي ووصلوا إلى شواطئ المحيط الباسفيكي أي على بعد ٤٥٠٠ كيلو متر إلى الغرب من المناطق الواقعة على ساحل الأطلسي التي استقر فيها المستوطنون الأوائل ومع توسع البلاد والمخزون الضخم فيها من الفحم والنحاس والنفط والحديد والخيرات الوافرة بنيت البلاد هذا البناء القوي الشامخ والوثبات في مجالات العلم وميادين المعرفة وضروب التقنية والانفجار المعرفي في العلوم الطبيعية والحيوية والرياضيات والعلوم الإنسانية والاجتماعية والثورة التكنولوجية والمبتكرات والمستحدثات إنها أمور كثيرة لا تتوقف عند حد شاهدناها في المكتبات ومراكز البحث والمتاحف والتلفاز.

ومن المعروف أن الشعب الأمريكي مكون من عشرات الجنسيات وكل منها يحتفظ بخصائصه من التقاليد وأسلوب المعيشة وخلال وجودي في لوس أنجلوس شهدت من خلال وسائل الإعلام المهرجان الفني والثقافي الذي عقد ليعكس تنوع الحضارات والفنون للجاليات المغتربة من دول الشرق الأوسط والأفريقية الأمريكية والمهاجرين من دول أفريقيا وتضمن عرضاً لحضارة وفنون دول الساحل الباسيفيكي التي يمثلها في لوس أنجلوس جاليات كبيرة ومتنوعة استطاعت أن تفرض وجودها في شتى المجالات وخاصة في النشاط الاقتصادي وقدمت خلال المهرجان بعض العروض عن الشرق الأوسط والحضارات الأفريقية والفنون الأفريقية الخالصة وبعد فإن الحفاظ على التراث الثقافي للولايات المتحدة ليس مسؤولية جهة واحدة بل هو مسؤولية مشتركة تتقاسمها مختلف الجمعيات والمنظمات والأفراد.

وشاهدت من خلال التلفزيون العربي الأمريكي الذي يبث لساعات محددة ظهر يومي السبت والأحد عند الرابعة بعد الظهر للجاليات العربية الأمريكية إن معظم برامج هذه الشبكة التلفازية تبث باللغة العربية إلا أنها تخص بعض البرامج ذات الاهتمام باللغة الإنجليزية لمن لا يحسنون العربية من الأمريكيين العرب، ويلاحظ عليها الطابع الترفيهي من أفلام ومسلسلات درامية، وليتها تحاول تقديم برامج ثقافية وتاريخية وإسلامية وتثقيفية وأن تمدها محطات التلفاز في العالم العربي بالبرامج النافعة المفيدة للجالية العربية وأن يكون لها توسع ملحوظ على مدى السنوات المقبلة ومن خلال زيارتي لبعض المتاحف لاحظت اهتماماً بالحفاظ على المعالم التاريخية للمدن والمواقع الأثرية والتراث الثقافي والمحافظة عليه.

في كاليفورنيا ما بين لوس أنجلوس وسان دييقو وهوليود

وبعد أن استقر بنا المقام في مدينة سان دييقو إحدى المدن الهامة في ولاية كاليفورنيا هذه الولاية الذهبية الخضراء كما يطلق عليها ذات الجمال والأشجار والخمائل والأنهار والبحيرات والمناظر البديعة والأسواق والمراكز التجارية الفخمة ذات الأدوار والطوابق المتعددة وكان المركز التجاري مدينة بكاملها كما أن هذه الولاية من أغنى الولايات وأكثرها شهرة ورقياً وتعليماً فهي تحتوي على عدد كبير من مراكز البحوث والجامعات والمدن الجميلة والطرق الواسعة التي تموج بالسيارات وتمتص أعدادها الوافرة بشكل مذهل كما أن بها جبالاً شماء فارعة مكسوة بالخضرة.

وهي تقع محاذية للمحيط الهادي الذي يحتوي على شواطئ رملية رحبة فسيحة ومدن وقرى جميلة مثل «نيويورك» و«لافونا بشيش» وغيرها من المدن ذات المعالم المبهجة والمناظر الجميلة والمناخ المعتدل وتحوي أرضها الفسيحة المزارع والأعناب والرمان والزيتون ومختلف الفواكه والخضار ويسكنها أكثر من ثلاثين مليوناً هاجروا إليها من بلاد متعددة الحضارات والتاريخ والثقافات والخصائص المتنوعة.

ولقد انطلقنا من حي «لاميراج» الواقع على قمة الجبل تحيط به الأشجار إلى كل من «دلمار» هذه الضاحية الجميلة الواقعة على المحيط «ولاهويا» وجزيرة «كورنادو» و«حدائق الحيوان، وعالم البحار» والمتحف الوطني، والجامعة، والمركز الإسلامي وغيرها من المعالم السياحية الشهيرة والمناطق النهرية والبحيرات حيث قمنا بركوب أحد المراكب وتجولنا لمدة أربع ساعات ومررنا بعدد من المتنزهات ثم

توجهنا صوب مدينة «لوس أنجلوس» حيث أخذنا الطريق السريع إليها وكانت المسافة مائة وخمسين ميلاً والسرعة على الطريق محددة خمسة وخمسين ميلا وكان الطريق على سعته مزدحماً بالسيارات فسلكنا الطريق الخاص بالسيارات التي تحمل أكثر من شخص ومضينا في الطريق عبر عشرات المدن والقرى والأنهار والبحيرات والسدود والمزارع والمتنزهات وكنا نشاهد جميع أنواع الفواكه والخضروات والمناظر الخلابة وتوقفنا قليلاً للتزود بالوقود وشرب الشاي في مطعم فخم ومقهى جميل ووجدنا شاباً عربياً يعمل فيه وحدثنا عن هذه المنطقة وعما ينبغي مشاهدته فشوقنا كثيراً إلى زيارة بعض الأماكن السياحية وكما قيل:

وذو الشـــوق القـــديم وان تســـلى مشـــوق حـــين يلقـــى العاشـــقينا

فكان وقتاً ممتعاً عدنا بعده إلى استئناف السفر نحو «لوس أنجلوس» وواصلنا السير حتى لاحت لنا معالم المدينة، ووقفنا عند إحدى حدائقها الجميلة مما ذكرني بقول الشاعر:

نزلنـــا بهـــا واســـتوقفتنا محاســـن يحـــن إليهـــا كـــل قلـــب ويهواهـــا

وبقينا أكثر من ساعتين ونحن نسير حول «لوس أنجلوس» لضخامتها واتساعها وكثرة حركة السيارات فيها وهي مدينة ضخمة واسعة يزيد سكانها عن خمسة عشر مليوناً وبها المصانع والمعامل والشركات والمتاجر الفخمة وقصدنا نحو أحد فنادقها وبعد استراحة استغرقت ساعة ذهبنا في جولة في معالم المدينة وميادينها وقد كان الجو صافياً وجميلاً وتناولنا طعام الغداء في أحد مطاعم المدينة القديمة وكنا نشاهد خلال التجوال ما وصلت إليه هذه المدينة من رقي وعمران وحضارة وصناعة وتجارة ونشاط اقتصادي واسع والكل يعمل بجد ونشاط من الرجال والنساء من الصباح إلى الساعة السادسة مساء.

إن هذه المدينة تموج بالحركة والبشر والسيارات والسائحين وبها شبكة ممتازة من الطرق تواجه هذا الزخم الهائل من البشر وحركة المرور وكثافة السيارات وهكذا كل شيء يعمل ويتحرك بسرعة فالحياة عمل مستمر متواصل وجري سريع ومن لم يعمل ويكدح فلا مكان له كما أنهم يحترمون النظام ويحرصون على المحافظة عليه.

ولقد أمضينا في مشاهدة معالمها ومناطقها السياحية يوماً كاملاً وسط مناظر رائعة ثم عدنا في المساء إلى الفندق مردداً قول القائل:

بـــلاد بهـــا مـــا يمـــلأ العـــين بهجـــة وتســـلي عـــن الأوطـــان كـــل غريـــب

إن مدينة لوس أنجلوس مركز جذب سياحي بحكم مركزها التجاري ومناخها المعتدل وشواطئها الواسعة ومرتفعاتها الجبلية ومدنها وقراها الريفية الجميلة ذات الطبيعة الساحرة وكذا ما تحويه من بحيرات وانهار ومناظر ومراكز الثقافة والفن والفكر والطب والتجارة والصناعة.

وبعد تمضية وقت في هذه المدينة توجهنا صوب «الحديقة العالمية» المشهورة ديزني لاند وهي مدينة كاملة بداخلها الحدائق والبحيرات والأنهار والأودية والألعاب المثيرة وانطلق الأولاد يسرحون ويمرحون في ألعابها المتعددة وأسواقها ومطاعمها ورحلات بحرية ومصاعد وملاعب لا حصر لها فكانت مليئة بالسواح من مختلف العالم ويدخلها كل يوم أكثر من ربع مليون شخص في فصل الصيف وبجوارها فندق ضخم واسع ويتنقل السواح فيه بواسطة مواصلات مخصصة لهذا الغرض، ومنذ دخلنا هذه الحديقة أو بالأصح المدينة ونحن ننعم بمناظر متنوعة ومشاهد مثيرة وألعاب بديعة في جو ملئ بالمتعة والنظام واحترام التعليمات فلا

ازدحام كل شيء يسير بترتيب دقيق وفي جو جميل ونظام بديع قائلاً:

فالروض مخضل الجوانب مشرق وشذى الزهور يشيع في الأرجاء

ومكثنا أكثر من عشر ساعات استجابة لرغبة الأولاد الذين انطلقوا في رحابها وأرجائها الواسعة والتقيت في وسطها بعدد من الإخوان والأسر السعودية فكانت فرصة طيبة وكما قال الشاعر:

وكل غريب للغريب نسيب

وخلال هذه اللقاء العابر أنسنا بلقاء الأخوة من مواطنينا وأمضينا وقتاً ممتعاً وجميلاً تحدثنا فيه عن هذه المدينة الصاخبة ومظاهر الحياة فيها وهذه الألعاب المذهلة والدقة في النظام والحرص على السلامة في كل ذلك وما في هذه الألعاب من رياضة ذهنية وتنمية الفكر والوجدان وبعد فترة من التجوال جلسنا في أحد المقاهي وأمضينا وقتاً جميلاً في رحابها ثم خرجنا بعد منتصف الليل وركبنا القطار الموصل إلى مواقف السيارات وأمضينا وقتاً في البحث عن سيارتنا وسط آلاف السيارات ثم عدنا للفندق الذي كنا ننزل فيه للنوم والاستعداد ليوم آخر مردداً قول الشاعر:

في الذكريات وفي الرحلات أشجان فيها من العلم والعرفان ألوان

مدينة لوس أنجلوس من المدن الضخمة تطالع فيها عالماً من شتى الأجناس وحياة صاخبة وحركة دائبة والأسواق والمراكز التجارية التي تبهرك ببساطتها وأناقتها وتنسيقها ونظافتها ومبانيها الشاهقة وفنادقها العريقة تتربع شامخة على المحيط ويتساءل المرء كيف قامت هذه الحضارة وهذه المصانع والمباني في تاريخ قصير وتجمعت هذه الجاليات المتنوعة من شتى بقاع الأرض ذات موروث ثقافي

وتاريخي متنوع وكل جالية تحدثك عن تمسكها بموروثها الفكري وتراثها الثقافي وماضيها وتقاليدها فالحضارة التقنية لا تستطيع أن تقتلع من الأعماق هذا الموروث الخالد.

وفي الصباح أدرت جهاز التلفاز على محطة داخلية وكانت تبث أخبار الحوادث الليلية وتحذيرات عديدة وعبارات كثيرة تركز على الناحية الأمنية ثم بدأت أقلب في محطات التلفاز التي لا حصر لها ورأيت البعض منها يتسابق على نشر أخبار الحوادث المرعبة لجذب المشاهدين حول أنباء الجرائم المتمثلة في سرقة المحلات التجارية والبنوك وسلب العابرين وحول المخدرات والأخلاق فقلت كيف أن هذه البلاد قد بلغت شأناً رفيعاً في التطور والحضارة والتقنية والتقدم العسكري والتربوي والفكري والإدارة والتنظيم وغير ذلك، يقف المرء حائراً حول ما يشاهده في التلفاز ويقرأه في الصحافة ويسمعه من الناس عن الحوادث.

ولقد سمعت البعض يقول إن السبب وراء ذلك هو المخدرات للحصول على المال وشرائها، فحمدت الله على ما تنعم به بلادنا من أمن وارف أصبح مضرب المثل وكذلك مكافحة تلك السموم الفاتكة القاتلة حقاً ليس هناك أفضل من نعمة الأمن والاستقرار الذي نعيشه في هذه الأرض الطيبة والبلاد المباركة بفضل الله وأصبحت المملكة العربية السعودية مضرب الأمثال في الإحساس بالأمن والأمان نقولها بكل فخر واعتزاز حيث يرفرف الأمن في هذه البلاد ولكم تذكرت قول أمين الريحاني حينما جاء إلى هذه الديار وكتب كتابه المعروف «ملوك العرب» فإذا كان العدل أساس الملك فالأمن مظهر من مظاهر العدل وفي السعودية اليوم من الأمن ما لا نجده في بلادنا أو في بلاد متمدنة، وقد أمضى خمسة أشهر

قطع في أثنائها الدهناء مرتين وسار من القصيم إلى الكويت وكانت حقائبه مفتوحة ولم يفقد كما ذكر في تاريخه شيئاً من حوائجه ولا ورقة من أوراقه .. إلخ.

وفي الصباح انطلقت أجوب شوارع هذه المدينة فلن أمكث فيها طويلاً وحددت خط السير نحو مدينة «هوليود» على خريطة المدينة التي أخذتها من الفندق من بين مطبوعات عديدة من المعالم والمرافق السياحية والحدائق والمتاحف والمكتبة الوطنية مردداً قول القائل:

سفر الفتى لمناطق وديار ... وتجول في سائر الأمصار

علم ومعرفة وفهم واسع ... وتجارب ورواية الأخبار

***

جولة في هوليود

ذهبنا في جولة لزيارة مدينة «هوليود» وتجول في أنحائها ودورات بواسطة القطار السياحي على مختلف معالمها ومشاهدها طولاً وعرضاً وشاهدنا آلاف السياح من أوروبا واليابان وكوريا وغيرهم يقفون صفوفاً متراصة وطوابير أمام كل نافذة ومدخل إلى هذه المدينة الغريبة العجيبة ومع كثرة الوافدين من السياح فهي واسعة وتستوعب القادمين إليها وعبر اللافتات والمكاتب الإرشادية توجهنا نحو «الاستديوهات» ومشاهدة شتى المناظر والألعاب وأقسام التصوير والأنوار الخافتة والساطعة وركبنا سيارة توقفت بنا عند أحد الشوارع التي يتم فيها تصوير أحد الأفلام وشاهدنا الممثلين والمخرجين وما هي إلا دقائق حتى رأينا مطراً صناعياً وجسوراً تنهار وسيولاً تتدفق وتجري بسرعة وحرائق تشتعل وعبرنا أحد الجسور وسرعان ما انهار ونحن نسير عليه ثم طلعنا إلى الغابات بمرتفعاتها وشاهدنا بعض البيوت بلمساتها الجمالية في كل شوارعها ومبانيها حيث الزهور في كل نافذة وعلى أعمدة النور بجانب الحدائق الواسعة والأشجار الباسقات ذات الطلع النضيد ترمي بطلعها وأوراقها بين حين وحين، وأخذت السيارة صاعدة هابطة تدور يميناً وشمالاً عبر هذه المدينة الفنية التي تمثل «بانوراما».

وأنصتنا بعد ذلك إلى حديث للمرشد كان شيقاً عن تاريخ هذه المدينة الخيالية المخملية الساحرة بمشاهدها ورؤاها وكأنها فيلم سينمائي رومانسي ملون يستحوذ على الخيال.

ومن هذه المدينة توجهنا نحو المتحف الجيولوجي ومافيه من مختبرات

وإمكانات معملية ودارت مناقشات مع المرشدين في هذا القسم والمتحف العلمي العريق ثم مررنا بملاعب «الجولف» الواسعة الشاسعة والخضراء الرائعة «والجولف» رياضة تمارس في الخلاء بعصي وكرات مخصوصة ذات حفرات مختلفة الأبعاد.

وهذه اللعبة لعبة اسكتلندية وبدأت هذه الرياضة في الانتشار في القرن الخامس عشر ومنها انتقلت إلى جميع البلدان في العالم وتقدم لها مسابقات عالمية للهواة وللمحترفين على السواء، ويمارسها الناس هنا في أمريكا ي مختلف الأماكن والمدن وغادرنا تلك الملاعب التي امتلأت جدرها بالورود والزهور وأرض كساها السندس اللامع وتوجهنا إلى منطقة أثرية يفوح منها عبق التاريخ وإلى قلعة على نواحي المحيط وبجوارها متنزه جميل انشرح الصدر به وارتاحت النفس فيه ثم رحنا نستكمل الجولة مردداً قول الشاعر:

والـــروض مخضـــل الجوانـــب مشـــرق وشـــذى الزهـــور يشـــيع في الأرجـــاء

***

ما بين نيفادا وسان فرانسسكو

ومن ولاية «كاليفورنيا» انطلقنا نحو ولاية «نيفادا» ومررنا بعد من البلدان والقرى والبحيرات وتوقفنا قليلاً في مدينة «ياهو» ثم واصلنا السير وقد تغيرت علينا معالم الطبيعة حيث بدأنا نسير في أرض جرداء ونخترق بعض الجبال والشلال ونمضي في الطريق بضع ساعات حتى لاحت لنا مدينة «لاس فيجاس».

تتلألأ بأنوارها الساطعة وهذه المدينة تمتلئ بالفنادق الكبيرة الواسعة وبالسائحين وفي هذه الولاية مباح بها القمار في صالات كبيرة جداً في كل ناد وفندق مليئة بآلات القمار ومكتظة باللاعبين على شتى الآلات المستعملة في اللعب ولقد سألت عن أسباب ذلك وعلى هذا النحو العجيب فقيل: إن هذه الولاية فقيرة وأن دخلها محدود.

وهي صحراوية فيريدون بذلك أن يرفعوا مستوى دخلها بذلك. وقد وضعت الضرائب الباهظة على القمار لدعم دخل هذه الولاية، ولقد شاهدنا صالات القمار في كل مكان في العاصمة والقرى والمنتجعات والأندية والفنادق وقد قلت في ذلك من قصيدة طويلة:

رأيت بلاد الغرب فيها مساوئا ... تمازج فيها الخير بالشر والاثم
فقد غرقوا فيها بلج رذائل ... بحرية قادت إلى السوء والهدم
فخذ منهموا علماً يفيدك خيره ... ودع باطلاً إن راحه المرء قد يعمى

ثم توجهنا نحو مدينة «سان فرانسيسسكو» مروراً بمدينة «سكواسنتو» عاصمة ولاية «كاليفورنيا» ومضينا في طريق طويل عبر قرى وأنهار وبحيرات ومراكز

صناعية وبعد فترة من السير الطويل بسيارتنا وسط مناظر خلابة لم يخالطنا فيها السأم والملل لاحت لنا في «سان فرانسيسكو» حافلة بالمناظر الجميلة ومواكب السيارات التي تملأ الشوارع والميادين وهي مدينة كبيرة يبلغ تعداد سكانها ستة ملايين نسمة.

وطرقها الرئيسية مغلقة نظراً لازدحامها وتجولنا في أحيائها كالحي الصيني الذي تقطنه جالية صينية كبيرة ثم ذهبنا إلى الحي التجاري في قلب المدينة وزرنا عدداً من الميادين والشوارع والأسواق كشارع «لمبارد» وبرج «كويث» أطول برج يشرف على المدينة وقد سعدنا فيه من خلال المصعد ووجدنا عدداً كبيراً من السواح من مختلف الجنسيات ويزور هذه المدينة أكثر من أربعة ملايين سائح سنوياً وتزخر هذه المدينة بالعمارات الشاهقة والمصانع والمؤسسات التجارية والبنوك وبها عشرون جامعة وكلية، زرنا بعض متاحفها وعددها كبير وقد بنيت هذه المدينة عام ١٧٧٠م وسكانها من أجناس شتى من الأوروبيين والصينيين والمكسيك واليابانيين والآسيويين وفي المساء ذهبنا لأحد فنادقها للراحة والنوم والاستعداد لرحلة يوم آخر مردداً قول الشاعر:

نزلناها هنا ثم ارتحلنا ... فدنيانا نزول وارتحال

***

جولة في نيوبورت بيتش Newport Beach

في الصباح الباكر توجهنا إلى مدينة نيوبورت بيتش الجميلة وهي إحدى أهم المدن في مقاطعة أورنج بكاليفرنيا وتبعد حوالي الساعة من مدينة لوس انجليس وتتسم المدينة باتساع شوارعها وحسن تنسيقها وحدائقها ونخيلها الباسقة مما يجذ إليها العديد من السياح والزائرين.

زرنا سوقها الشهير «فاشن ايلند» Fashion Island وهو سوق مفتوح حسن التصميم تنتشر فيه النوافير والمساحات الخضراء وتجولنا في أرجائه حوالي الساعتين ومن ثم توجهنا إلى شاطئ جزيرة بالبو Balboa Beach واستخدمنا العبارة للوصول حيث تنقل العبارة ٣ سيارات فقط في كل اتجاه وكانت تجربة مميزة للاستمتاع برصيفها البحري واليخوت الراسية ومن ثم توجهنا لشاطئها الشهير وكان الشاطئ جميلاً والموج يتحرك حيث ينطلق في أنحائه هواة ركوب الأمواج ثم أشعلنا النار حيث كان الجو بارداً وكانت هناك أماكن مجهزة لإشعال النار وتناولنا طعام العشاء واستمتعنا بالأحاديث والتعليقات والانطباعات في مشهد لا ينسي قائلاً:

في رحلـــــة زاهيـــــة غنـــــاء جميلـــــة بديعـــــة الأنـــــداء

ومن ثم ركبنا سفينة للتوجه إلى جزيرة كاتيلينا واستغرقت الرحلة ساعة كاملة حيث كنا في وسط أمواج المحيط مردداً قول الشاعر:

ومضـــي يخـــوض البحـــر في أنحائـــه ضـــد الأعاصـــير والأمـــواج والخطـــر

والجزيرة تقع في الساحل الشمالي لولاية كاليفورنيا على بعد ٣٥ كيلو

جنوب غرب لوس أنجلس وهي جزيرة ساحرة بطبيعتها وجمالها ودخلنا الجزيرة التي تتميز بالطبيعة الجبلية الخلابة والتي تذكرك بقرى سويسرا الجبلية ويكثر فيها النخيل ورددت قائلاً:

وأشـــجار تعانقهـــا ورود وأطيـــار بأصـــداء وجـــرس
وفي أفيائهـــا مغـــني جميـــل مشـــاهدها لكـــل الحســـن ينســـي
وألـــوان الجمـــال لهـــا اشـــتياق أفـــانين الهـــوى وصـــفاء حـــس

والجزيرة اسمها Santa Catalina Island ولكنها مشهورة بـcatalina وطولها ٣٥ كيلو وعرضها ١٣ كيلو ويسكنها حوالي ٣٠٠٠ شخص وأهم شاعر بها اسمه «كريسنت افنيو» على ضفاف الشاطئ وتنتشر به المطاعم والمقاهي وأهم المحلات التجارية بالمدينة كما ينتشر عدد من الفنادق الصغيرة بها.

وكم في أجوائها من لطف وأنس وجمال وفي أنحائها عطر حيث تمتد الهضاب على ثراها وعليها الطيور تلهم حين تشدو، وفي هذه الجزيرة يمنع استخدام ما يلوث البيئة حيث تستخدم السيارات الكهربائية والدراجات للتنقل بها بدلاً من السيارات التي تعمل بالوقود.

كما قمنا باستئجار سيارة جولف كهربائية للقيام بجولة مدتها ساعة لمشاهدة أنحاء الجزيرة وما فيها من غابات وقد لفت نظري مشاهدة المدرسة حيث حضر أولياء التلاميذ بسيارات الجولف لاصطحاب أطفالهم ورأينا أمام المنازل تلك السيارات الكهربائية مصطفة بدلاً من التقليدية وبعد تمضية وقت جميل ونزهة ممتعة قائلاً:

كـــل يـــوم نـــروح فيـــه ونغـــدو لا نبـــالي بشـــدة الإعيـــاء

***

زيارة إلى شلالات نياغرا

ونمضي من ولاية أوهايو وعاصمتها كولومبس مروراً بولاية بنسلفانيا حيث سرنا بين ربوعها وبعد أن قطعنا تلك المزارع والسهول والمدن والأرياف الجميلة قاصدين زيارة «شلالات نياجارا» الشهيرة ونمضي وسط طريق سريع ومشاهدة الكثير من معالم الطبيعة والبلدان والوقوف في بعض المنتزهات ومناطق الراحة «ريست إيريا» التي تصادفنا في الطريق والمرء في هذه الطرق لا يضل طريقه إذا كان مسافراً بالسيارة؛ لأن الطرق مسماة بأرقام تحددها وقد وقفنا في مكتب الاستعلامات وأخذنا مجموعة من الخرائط وأسماء الفنادق والمعالم السياحية وتوقفنا في مدينة (بافلو) لتناول طعام الغداء ثم مررنا بعدد من المناظر والمناطق بولاية نيويورك وتوقفنا قليلاً لدفع رسوم المرور في أكثر من موقع حتى لاحت لنا (نياغرا) وهي جزيرة صغيرة يسمونها جزيرة العنزة تقسم النهر وشلالاته إلى قسمين قسم ينحدر في المجرى الأمريكي وآخر ينحدر في الكندي – ويلاحظ أن الشلال الأمريكي أكثر ارتفاعاً ويبلغ عرضه ٣٠٠ متر، ويقال في تلك النشرات السياحية أن أول إنسان وصل إلى هذه الشلالات هو سائح أوروبي في سنة ١٦٧٨م بمساعدة وإرشاد دليل من الهنود الحمر.

ولم تنشأ شلالات نياجرا إلا بعد ذلك في القرن التاسع عشر وبعد أن وصلنا إلى هذه المنطقة ذهبنا للبحث عن فندق حتى حصلنا على غرفتين ولمدة ليلة واحدة في أقصى المدينة فقلنا نأخذها وغداً يفرجها الله في فنادق أقرب وأحسن من هذا الذي في أقصى المدينة وسألت موظف الاستعلامات عن أسباب ازدحام الفنادق

فأجاب بأن فصل الصيف هو الموسم السياحي وخصوصاً في عطل نهاية الأسبوع حيث كان اليوم «الأحد» وما كادت الشمس تؤذن بالمغيب إلا وأضيئت الأنوار والأضواء مختلفة الألوان على الشلالات وخرجنا مبهورين بجمال المناظر والأضواء ومياه الشلالات وكثرة الزوار والسائحين.

ولقد زادت الطبيعة سكوناً وهدوءاً وزادت المياه زمجرة وزئيراً وسرنا نحو الشلالات وهديرها يملأ الجو وقربنا نحوها وأخذنا نمتع النظر فيها حيث رذاذ الماء الزلال الرقراق يتلألأ في الفضاء فابتلت ثيابنا برذاذ الماء المتطاير وذهبنا لمشاهدة مجرى النهر الذي يمر بين جرف من الصخور العالية وعمرها الزمني كما يقول المرشد السياحي عشرين ألف سنة أما منحدرات (نياجارا) وصخورها القديمة فهي تعود إلى ملايين السنين وقد زحفت الشلالات للأعلى بعد تآكل الصخور ولقد عملت الجسور والسدود عليها ومحطات الكهرباء ولقد لعب هذا النهر دوراً مهماً في المواصلات إذ كان ضمن أربعة طرق مهمة للتجارة في أعالي البحيرات.

لقد لاحظت ازدحام شواطئ النهر بعشرات المصانع المعتمدة على الطاقة الكهربائية المتولدة من الشلالات.

وتعد من أكبر محطات توليد الكهرباء في العالم ولقد كانت هذه المنطقة منذ مائة عام لا يوجد بها سوى نزر قليل من المصانع وثلاث فنادق تستقبل الزوار أما اليوم فإنها تستقبل ملايين السياح وبها عشرات الفنادق والمطاعم والمقاهي تفتح أبوابها للسياح الذين يأتون للاستمتاع بمشاهدة هذه الشلالات وديمة المطر والنسيم العليل وخرير الماء حيث ترقص الأشجار وتغرد الأطيار وتتدفق المياه وتملأ الأودية والسهول.

وفي صبيحة اليوم الثاني حزمنا حقائبنا وتوجهنا إلى فندق رامادا القريب من الشاطئ والمجاور للشلالات والمشرف على حديقة الشلالات. وكنا نرى الشلالات فيزداد الجمال فوق جماله فنشاهد الشلالين الأكبر منهما ويطلق حجم المياه المتدفقة من هذا المصب على حد قول المرشدين السياحيين (١٥٠.٠٠٠ قدم مكعب) وينخفض في الشتاء وأذكر أني زرتها في فصل الشتاء وكنا قادمين من (ميشجان) في عام ١٩٧٣م حيث كنت أدرس في جامعة ميشجان ونظمت الجامعة رحلة إلى كندا ولم نستطع مغادرة الحافلة من شدة الجليد والبرودة وتجمد المياه أما اليوم فقد كان هذا الشلال في فصل الصيف ومشاهدته يجسد منظراً خلاباً جميلاً إلى جانب الخضرة والنظرة والأشجار والحدائق فهي مناظر جذابة وفاتنة وشاعرية لمن أراد أن يتغنى بالشعر ويشدو به في هذه المنطقة الجميلة:

قف بي على النهر يفري المرء مجراه ... فالماء يجري بديعاً في ثنياه

ولقد وقفنا على الربوة العالية التي تطل على الشلال نفسه وذكرت قول البحتري:

تنصب فيها وفود الماء معجلة ... كالخيل خارجة في حبل مجراها

إذا النجوم تراءت في جوانبها ... ليلاً حسبت سماء ركبت فيها

لقد مكثنا ثلاثة أيام بلياليها ننتقل من مياه الشلالات والمرتفعات المختلفة والسفن السياحية التي تحمل السياح وتتجول في عرض النهر ويأتيك صوت مذيعها فيحييك ويتمنى لك نزهة جميلة ويقدم لك نبذة عن هذه المنطقة وتاريخها وموقعها وأهميتها وتتهادى السفينة وقد أعطينا لباساً من النايلون الأزرق لنتفادى رذاذ المياه الزاخرة، وأذكر أني حينما عدت من الرحلة خلعت المعطف الذي أعطوني إياه لحماية ملابسنا وجيوبنا من رذاذ الماء فوجدت الماء قد نفذ إلى ملابسي فقلت مازحاً

لقد تبللت ملابسي ولم تنفع معاطفكم ولا بد من تعويضنا، فأجاب الكابتن مازحاً: غداً نراك ونعطيك واحداً سميكاً.

ثم ذهبنا حيث نقترب من المصب في رحلة أخرى إلى مغارة أقيمت في أحد الصخور المحيطة بالشلالات وأعطينا في هذه المرة لباساً ذا لون أصفر أثقل من الأول وأحذية من القماش ثم نزلنا بالمصعد الكهربائي إلى المغارة واستمتعنا بالمياه حيث كنا قريبين جداً من مسقط الشلال. كما أن هناك برجاً عالياً ذهبنا نحوه وارتفع بنا المصعد الكهربائي ورأينا الشلالات والمدينة ودولة كندا. ثم نزل بنا المصعد إلى القاع بسرعة وخلال التجوال تتناثر ذرات المياه. بعدها تجولنا في الحدائق المجاورة وتناولنا المثلجات بعد عناء الرحلة مردداً قول الشاعر:

كست الطبيعة وجه أرضك سندساً ... وحبت نسيمك إذ تضوع طيبا

بسط تظللها الغصون فأينما ... يممت خلت سرادقا منصوباً

فالحدائق والمناظر مسرح للهوى ومغنى جميل وكما قال شوقي:

الأرض حولك والسماء اهتزتا ... لروائع الآيات والآثار

حلو التسلسل موجه وخريره ... كأنامل مرت على أوتار

وكم يجد المرء متعة في التجوال على قدميه في البكرة والعشية بجوار هذه الشلالات ولقد كنا نهبط بين الصخور بمحاذاة الشلال ونخطو فوقه باحتراس شديد وأردد قول الشاعر القطامي

قدر لرجلك قبل الخطو موضعها ... فمن علا زلقا عن غرة زلجا

ومع ذلك كانت المياه تتساقط علينا وكلما ازددنا قرباً من الشلالات انهمرت المياه وكما قيل:

والزهر وافاني بثغر باسم ... والماء وافاني بقلب صافي

ولحسن الحظ فقد كان الجو صحواً والشمس مشرقة والهواء معتدلاً وتأتي أيام أخرى يتبدل الجو فيها وتكفهر السماء وتتساقط الأمطار وترقص الأشجار وتتناثر أوراقها ولقد انطلقنا نسعى في أرجاء المدينة ونتعرف على معالمها ورؤية مناظرها وحدائقها الغناء ومتاحفها وانقضت الأيام فيها بسرعة وبالجملة فما ذكرناه عنها هو اليسير مما تشتمل عليه من المناظر وشتى الفنون وما حباها الله به من رواء وجمال وسحر ثم مضينا نحو كندا قرابة العصر قاصدين أونتريه وشلالات نياجارا الكندية وبعد اتخاذ الإجراءات اللازمة عبرنا الحدود ودخلنا إلى كندا وتجولنا في أونتريه وضواحيها وهي مدينة جميلة ذات مبان شامخة وشوارع رحبة فسيحة وكما قال شوقي:

فتلك الطبيعة قف بنا يا ساري حتى أريك بديع صنع الباري

وننزل في فندق ماريوت ونشاهد أجناساً متعددة من السياح قدموا للنزهة والسياحة ونمضي في طريقنا إلى فانكوفر مارين بعدة قرى ومناطق حيث الخضرة والنضرة والأشجار وهي من أجمل مناطق كندا، وكندا مفتوحة للهجرة ولقد شاهدنا فيها مختلف الجنسيات من الشرق والغرب فهي بلاد شاسعة وكبيرة ويرحبون بالمهاجرين ليملئوا هذه الأرض الخصبة الكبيرة التي تكبر مساحة أمريكا وبعد التجول في تلك الربوع والتعرف على معالمها ومعانيها الجميلة انطلقنا بسيارتنا عائدين إلى نياجارا تلك المدينة الحالمة في حضن السحاب وودعنا الشاطئ الكندي الجميل حيث تفنن الكنديون في مناظر الشلالات من مختلف مساقط المياه والأبراج ومناظر الطبيعة الرائعة ودخلنا الشاطئ الأمريكي ونعود في رحلة العودة إلى مدن ومناطق أخرى مردداً قول الشاعر:

نزلنـــا هاهنـــا ثـــم ارتحلنـــا فـــدنيانا نـــزول وارتحـــال

وما شاهدناه من أجواء مميزة ورائعة ومناطق حافلة بالمناظر والأشكال مما يشد النظر ويستدعي انتباهه فقد رددت قول أبي تمام:

نقـل فـؤادك حيـث شـئت مـن الهـوى فمـــا الحـــب إلا للحبيـــب الأول

كـم منـزل في الأرض يألفـه الفتـى وحنينـــه أبـــداً لأول منـــزل

ويقول شوقي:

وطـني ولـو شـغلت بالخلـد عنـه نـازعتني إليـه بالخلـد نفسـي

وبعد ذلك أخذنا الطريق السريع ونمضي فيه وسط غابات كثيفة من الأشجار والمؤدي إلى (بنسلفانيا وأوهايو) ونصل إلى كليفلاند ونذهب للإقامة في أحد ضواحيها وفي الصباح نستأنف السير حيث نشاهد السهول الزراعية الخصبة والبساتين المملوءة بأشجار التفاح والبرتقال وسائر أنواع الفاكهة والذرة والفول والحمص كما نشاهد بروج صوامع الغلال والمنتزهات والمناظر الطبيعية الجميلة حيث يشعر المسافر وهو يعبر تلك الدروب بالمتعة والتسلية.

حقاً إن الرحلات بطبيعتها سبيل من سبل المعرفة ومعين للفائدة والإطلاع على عجائب هذا الكون ومشاهدة الأماكن ورؤيا المناظر وكما قال أبو تمام:

كـأن بـه شـوقاً إلى كـل جانـب مـن الأرض أو ضـفناً علـى كـل جانـب

***

تجوال في كليفلاند

وشددنا الرحال وأخذنا بأطراف الحديث على حد قول الشاعر كثير عزة:

وشدت على دهم «الفورد» رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هو رائح

وعفواً أيها القارئ الكريم فنحن أكثر من ثلاثة لهذا استعملت ضمير الجمع، وودعنا ولاية أنديانا حيث انطلقنا نحو ولاية أوهايو وأخذنا الطريق رقم (١٧) وقد غام الجو ورق النسيم وحين كان المطر يهطل والبرق يلمع تذكرت قول الشاعر:

إذا أردت ملأت العين من بلد مستحسن وزمان يشبه البلدا

يمسي السحاب على أجبالها فرقا ويصبح النبت في صحرائها بددا

فاستمتعنا بتلك المناظر الجميلة الممتدة والطبيعة الساحرة وفي الحقيقة أنه إلى جانب ما في الأسفار من تمتع بالمناظر الجميلة الخلابة والجو اللطيف، اكتساب العلم والمعرفة بالبلاد ومعالمها وجغرافيتها، ومررنا عبر السهول والأودية والطرق والجسور والأنفاق والخضرة والجمال والهضاب الخضر حيثما وليت بصرك أو اتجهت بناظريك المروج الخضراء والمراعي الواسعة والمزارع الممتدة حيث تجثم فيها طائرات خاصة يستعملها المزارعون في تنقلاتهم وقضاء حوائجهم وقبل أن نصل إلى كليفلاند وقفنا عند أحد المتنزهات حيث أقيم فيه استراحة للمسافرين رائعة الجمال بخدماتها الكاملة من محطة وقود إلى مطاعم وملاعب للأطفال ودورات مياه وحدائق وخضرة وأزهار ومياه وبجانب ذلك تمتد مزارع الفواكه والخضار والأزهار وبساتين الذرة والقمح ولقد لفت انتباهي الدراجات الهوائية والزوارق المحمولة على ظهر السيارات المتجهة إلى بحيرة أريا (ERIE) والتي تعد ثاني أكبر بحيرة في

الولايات المتحدة الأمريكية حيث يستعملون تلك القوارب للتنقل على ضفاف البحيرة وللرياضة المسائية.

وعند الوصول لهذه المدينة أعيانا البحث عن فندق فيها رغم العدد الكبير منها، حيث جلنا هذه المدينة من أقصاها إلى أقصاها ومضى هزيع من الليل وقد كانت الفنادق مليئة بالسياح والزوار وسألنا عن أسباب ازدحام الفنادق فقيل لنا مناسبة وطنية وحفل كبير سيقام غداً ومن الصعب العثور على فندق أو موتيل خاصة ونحن سبعة أشخاص وبعد التجوال لمدة ساعتين في هذه المدينة وضواحيها انجلت المشكلة حيث وجدنا فندقاً على بعد خمسة وثلاثين ميلاً عن المدينة شمالاً وكانت غرفه على ضيقها نظيفة ومريحة وقضينا ليلة هادئة في إحدى ضواحي المدينة وفي الصباح تناولنا طعام الإفطار وحملنا حقائبنا إلى السيارة للذهاب إلى المدينة والبحث عن فندق فيها ولم تبلغ الساعة الثانية عشرة حتى عثرنا على فندق فيها فوضعنا حقائبنا ومن ثم قمنا بجولة في أرجاء هذه المدينة والتي يبلغ تعداد سكانها ثلاثة ملايين نسمة وزرنا معالمها السياحية ورأينا الجسور المعلقة المضيئة وذهبنا لجامعتها كيس وسترن ريزيرف (Case Western Reserve University) العريقة حيث يدرس بها الابن عبدالملك لنيل درجة الدكتوراه في المحاسبة وتجولنا بين كلياتها وأقسامها ومرافقها ومنشآتها الرياضية وقد لفت انتباهي عدد الجامعات والكليات في هذه المدينة حيث يوجد بها اثنان وعشرون جامعة وكلية كما يوجد بها سبعة وسبعون مكتبة أحدها تعد ثاني أكبر مكتبة عامة في أمريكا وهي مكتبة كليفلاند العامة، حيث توفر هذه المكتبة قسماً خاصاً للباحثين كما توفر لهم الدعم المادي لمواصلة أبحاثهم. ولقد التقينا بعدد من أبناء بلادنا والخليج الذين يتلقون

دراساتهم في هذه الجامعات، وقد أصر أحدهم على دعوتنا وعرض علينا الضيافة فاعتذرنا عنها ولكنه ألح علينا قائلاً ببيت الشاعر جرير:

تمـــرون الـــديار ولم تعوجـــوا كلامكـــم علـــي إذن حـــرام

وإزاء هذا التهديد قبلنا ضيافته والنزول على إرادته ولأشد ما كانت الدهشة أن وجدنا جمعاً من إخواننا من السعوديين ومائدة عامرة بالأكلات السعودية الشعبية وليس غريباً على أبناء بلادنا أن يستمر تواصلهم وانتماؤهم والحنين لوطنهم أينما حلت ركابهم وتباعدت مسافاتهم والتفكير ببلدهم ووطنهم متمثلين بقول الشاعر:

كـــم منـــزل في الأرض يألفـــه الفتـــى وحنينـــه أبـــداً لأول منـــزل

فكان الحديث عن الوطن والجامعة ومعالم هذه المدينة وحدائقها الفيحاء وبحيراتها وغير ذلك من الأحاديث الأخوية في جو من الأخوة ويعبق بالمحبة ويشع بالمودة ويفيض بالوفاء وكرم الأخلاق.

ثم ذهبنا لزيارة الحديقة العامة والتي تبلغ مساحتها (١٩٠٠٠) دونم وتحيط بها البحيرة من ثلاثة اتجاهات وبها شاطئ جميل والعديد من الوسائل الترفيهية البحرية وقد استمتعنا بالزهور العطرة وبالأشجار الباسقة والأنوار الكهربائية المتلألأة في أجوائها.

ومن ثم تجولنا في أسواق المدينة وقد شاهدنا الكثير من أبناء الوطن والخليج ممن حضروا للعلاج حيث تعتبر مدينة كليفلاند أحد الصروح الطبية الكبيرة ففيها مستشفى كليفلاند والذي يشتهر بقسم القلب حيث أجريت فيه أول جراحة فتح قلب في العالم، كما يوجد بها مستشفى الجامعة والذي يعد رائداً في علاج أمراض

السرطان. كما ذهبنا لزيارة متحف العلوم والمراكز الإسلامية والتعرف على نشاطاتها وما تقوم به من دور إيجابي في سبيل نشر رسالة الإسلام وأمضينا يومين في هذه المدينة الواقعة على بحيرة أريا وإن لم نكن نستمتع بالمناظر حيث كانت مزدحمة بالزوار الذين قدموا من مختلف الولايات لحضور الحفل الكبير وسباق الزوارق الذي تشتهر به المدينة في كل عام. وبعد تمضية أوقات حافلة بالفائدة والمتعة ودعنا هذه المدينة والنفس مفعمة بشتى الانطباعات والذكريات متجهين شمالاً إلى ولاية نيويورك قاصدين شلالات نياجارا.

***

في انديانا بلس (LNDIANAPOLIS)

في صبيحة يوم حافل بالحركة والنشاط غادرنا شامبين Champaign في يوم ٢٧/ ٣/ ١٤٢٠هـ وأخذنا الطريق السريع رقم ٧٤ غرباً واتجهنا صوب ولاية انديانا والتي يقطنها كثير من الهنود الحمر حيث كانت السماء صافية والشمس طالعة وواصلنا السير وسط سهل فسيح وجمال وخضرة ومرابع ومناظر وجبال وأودية وسهول وتقع هذه الولاية في المنطقة الغربية الوسطى من أمريكا وتتمتع بسهول واسعة وخصبة وهضاب جميلة خضراء تشرف على وديان مفعمة بالخضرة وأينما نقل الناظر إليها بصره أبصر الجمال مما جعل منها ولاية رئيسية في مجال الزراعة وغم ذلك فإن الصناعة هي المصدر الرئيسي لدخلها وذلك لوجود أكبر مصانع الأدوية ومصانع الاستيل نيكور ومررنا بالعديد من القرى والاستراحات والمتنزهات والمزارع والحدائق وقد ادهشني موقف حينما وقفنا في إحدى الاستراحات حيث استفسر ابني من أحد العاملين في الاستراحة حيث كان يقوم بتعبئة إحدى مكائن بيع المشروبات عن بعض المعالم والأماكن وإذا به شخص كفيف، وقد قام بإرشادنا بدقة وتفصيل عن رقم الطريق الذي سوف نسلكه والمناظر التي سوف نراها حتى نصل إلى موقعنا.

وما شدني هو أنه كان يعمل بجد واجتهاد وعزيمة وصبر رغم ما يقاسيه خلال ذلك من تعب ومشاق حيث طبيعة عمله تتطلب الانتقال من موقع إلى آخر مع حمل ثقيل من المشروبات وتحصيل النقود.

وسرنا حسب ما وصف لنا وكأننا نعرف هذه الطريق حيث كان الوصف مشابهاً لما رأينا وكأننا قد سلكنا هذا الطريق من قبل.

وبعد ساعتين من السير لاحت لنا عاصمة هذه الولاية انديانا بلس وهي عاصمة ولاية انديانا وقصدنا أحد فنادقها في منتصف المدينة حيث تناولنا طعام الغداء، وكان وسط المدينة عبارة عن أسواق وفنادق ربطت بجسور داخلية فيما بينها حيث لا يحتاج النزيل أو المتسوق إلى الخروج عن محيطها.

كما سميت شوارع منتصف المدينة بأسماء الولايات الأمريكية. ولقد لفت أنظارنا خلال تسوقنا لباس الكثير من المتسوقين كباراً وصغاراً حتى علمنا بأنه يقام في المدينة المسابقة السنوية للرقصات الفلوكلورية، حيث ترقص كل فرقة رقصة فلوكلورية ويفوز بهذه الجائزة أفضل الفرق تناسقاً في الرقص والملبس.

وتعتبر انديانا بلس مركزاً صناعياً وتجارياً كبيراً وقد زرنا مصنع الأدوية ليلي والذي شيد في نهاية القرن الثامن عشر حينما قطنت أسرة من السويد أنديانا بلس وبدأت في إنتاج وتسويق بعض الأعشاب كعلاج لبعض الأمراض ومن ثم تطورت إلى أن أصبحت أحد أكبر مصانع الأدوية في العالم، وقد شاهدنا المصنع القديم والأدوات التي استخدمت في إنتاج الأعشاب القديمة كما شاهدنا أول دفتر محاسبي لهذا المصنع، وقد أعجبت كثيراً حينما سمعت عن الدعم الذي تتلقاه المدينة من هذه الشركة، حيث يمثل هذا الدعم جزءاً كبيراً من ميزانية المدينة وهنا يتضح دور القطاع الخاص في المشاركة في نهوض الوطن.

وتزيد مساحة أنديانا عن «أربعة وتسعين ألف كيل» وسكانها ستة ملايين وهي مركز صناعي وتجاري كبير ومدينة أنديانا بلس هي ميناء هذه الولاية ويطلقون عليها «ملتقي طرق أمريكا» لأن كثيراً من الطرق وخطوط السكك الحديدية تلتقي فيها وقمنا بجولة في ربوعها ومتاحفها ومعالمها والأماكن السياحية

فيها وأينما اتجه السائح سيجد ما يستحق النظر ويملأ العين من سعة المرابع وطيب الهواء وما يغري بالمشاهدة وذهبنا لمينائها الواقع على بحيرة ميشيجان وقد أنشئ عام ١٩٧٠م ويقدم هذا الميناء خدماته إلى السفن كما شاهدنا تنظيم بعض الاحتفالات بهذه المدينة وأشهرها كان سباق السيارات والذي اشترك فيه أكثر من ٥٠٠ سيارة كما زرنا جامعة أنديانا والمكتبة العامة والمركز الإسلامي حيث التقينا فيه بعدد من الأخوة المسلمين، كما تمتع الأطفال والكبار بمتحف الأطفال والذي يبرز أحدث ما وصلت له العلوم والاختراعات بطريقة سلسة بسيطة مما جعل الصغير والكبير قادراً على فهم هذه العلوم كما أنها تشجع الصغير على إدراك وفهم أساسيات هذه العلوم والاختراعات والتعامل معها والتفكير بفائدتها ومدى إمكانية تطويرها.

وبعد أن تجولنا في هذه المدينة وضواحيها وأسواقها التجارية التي جهزت بأحدث التقنيات ومعالمها الحضارية وحدائقها الواسعة التي تبهج الأنظار بمروجها الخضراء التي تسر الناظرين وجامعتها العتيدة ومتاحفها ومراكزها التجارية والعلمية وسعدنا بقضاء وقت ممتع ومشاهدة مباهجها وما حباها الله به من المميزات في مظاهرها وطبيعتها وتقدم الحياة فيها غادرناها متجهين شمالاً قاصدين ولاية أوهايو مواصلين رحلتنا وهوايتنا المحببة على حد قول الشاعر:

كأنما هو في حل ومرتحل موكل بفضاء الله يذرعه

***

في شيكاغو Chicago

بعد التجوال في مدينة نيويورك وضواحيها الجميلة ومعالمها الحضارية وميادينها الرحبة وهي قلب الحضارة الغربية النابض حزمنا أمتعتنا وأخذنا السيارة إلى المطار حيث انطلقنا نحو شركة «تبي. دبليو. أي» للإقلاع إلى مدينة شيكاغو وبعد إنهاء الإجراءات اتجهنا إلى باب الخروج إلى الطائرة وركبنا متن الرياح وتقلع بنا الطائرة إلى شيكاغو حيث تستغرق الرحلة زهاء ساعتين ونيفاً وكانت نظرتي إلى هذه المدينة مليئة بالمخاوف والأوهام لكثرة ما سمعته وقرأته عن عدد الجرائم التي عرفت بها والخوف في هذه المدينة من أمور الحزم كما قيل لي: «وكفى بالله حسيباً» وسرعان ما هبطت بنا الطائرة وكان الابن ماجد على سلم الطائرة في استقبالنا ودخلنا المطار الذي يموج بأفواج من البشر ويعد مطار شيكاغو من ازحم المطارات العالمية لكثرة عدد الطائرات التي تقلع منه وتهبط فيه والتي تموج بين أرجائه حيث تسمع زمجرتها فهو أعظم مطار في العالم وقد أكتظ بالمسافرين فهو مطار رحب فسيح ولقد سبق لي أن مررت بهذه المدينة منذ سبعة وعشرين عاماً في طريقي للدراسة بجامعة أوكلاهوما مما ذكرني بقول القائل:

يـا مـوطن الخصـب ألا عـدت ثانيـة ... سـقى زمانـك هطـال مـن الـديم

ولقد كنت شديد الرغبة في رؤيتها وإلى إمتاع البصر بمعالمها الجميلة وبعد استراحة في الفندق انطلقنا نسعى في أرجائها وكان الجو منعشاً لا حر فيه ولا قر نتأمل هذه الجموع الحاشدة من سكانها إذ تمر بك ألوان وأشكال على اختلاف أصنافها وأنواعها وإذا ألقيت نظرة عليها طالعتك ناطحات السحاب الشامخة

العملاقة ولقد امتلأت شوارعها وميادينها بالبشر والسياح أحس بينهم كما قال المتنبئ:

ولكـــن الفتـــى العربـــي فـــيهم غريـــب الوجـــه واليـــد واللســـان

وتعتبر مدينة شيكاغو التي أسست عام ١٨٠٠م من أعظم المدين الأمريكية بعد نيويورك وتربط بين الشرق والغرب الأمريكي وبالرغم من تدميرها نتيجة احتراقها سنة ١٨٧١م عادت بحجم أكبر ونشاط أوسع ومعظم سكانها من أصول أوروبية من شرق أوروبا وإيلندا وإيطاليا.

إن شيكاغو هي أكبر مدن ولاية «الينوي» ذات المزارع الواسعة والبحيرات الطبيعية أو التي تتجمع من مسايل الأمطار وسوق البورصة الذي يمثل ثلث حجم مبيعات العالم في النواحي الزراعية والصناعية ونزلنا في وسط المدينة نتجول في أرجائها وهناك في الحي التجاري في قلب المدينة توجد مراكز أكبر الشركات الأمريكية وتوجد ثاني أطول عمارة في العالم «سيرز تاور» وهي بعد بناية الاتصالات في ماليزيا وتتألف من ١١٠ طوابق ويبلغ ارتفاعها ٤٥٠ قدماً ويزورها ملايين السياح من داخل أمريكا وخارجها وقد أنشئت في عام ١٩٧٣م ويعمل فيها أكثر من ١٦٠٠٠ موظفاً وبها ٣٢ مصعداً ويعتبر هذا البرج من معالم المدينة وتتجمع حولها عمارات شاهقة أخرى ودخلنا إلى هذا البرج مع جموع كبيرة وأخذنا تذاكر الصعود إلى الدور ١١٠ بحوالي ثمانية دولارات للشخص دخلنا في البداية إلى صالة عرض سينمائي عرضت تاريخ المدينة في فيلم وثائقي ثم مشينا في ممرات منظمة إلى المصاعد وأذكر أن رحلة الصعود أو الهبوط قرابة الساعة ثم هبطنا وتوجهنا إلى سيارتنا التي قضينا قرابة الساعة نبحث عن موقف لها في مواقف المدينة التي كانت أحياناً تكلفة الوقوف فيها لساعات تماثل أجرة غرفة في فندق.

هذا مع صعوبة وجود الموقف وندرتها في قلب المدينة وأخذنا نتجول في شوارع وسط المدينة تارة بالسيارة أو سيراً على الأقدام وقد سمعنا أن هناك بناية جديدة يجري تشييدها وستكون أعلى برج في العالم ثم قمنا بزيارة لمتحف العلوم والأطفال الذي تشتهر به هذه المدينة لما يوجد فيهما من تعريف بالحضارات القديمة والحديثة والعلم والتقنية ثم ذهبنا إلى المركز الإسلامي الذي تأسس عام ١٩٤٠م.

ولمنطقة كنزي التي تشتهر بالمحلات العربية والإيرانية ثم انطلقنا نحو معالمها ونهرها الجميل وكلما شاهدت الأنهار في أي مدينة تذكرت قول أحد القدماء من الحكماء: «لا تسكن في بلد ليس فيه طبيب ولا نهر جار ولا خباز» فرحم الله آباءنا وأجدادنا الذين عاشوا في بلداننا رغم قسوة الحياة وصعوبة حياة الصحراء.

وشاهدنا الكثير من معالم الحياة الأمريكية والزوارق وتدير شركات سياحية سفناً سياحية تحمل الواحدة منها مئات الركاب وصعدنا فيها حيث تجولت بنا في عرض النهر بين أحياء هذه المدينة وقد كانت نزهة ممتعة بين ركاب من جميع الأجناس والألوان وقد كان في المدينة وعلى ضفاف البحيرة مهرجان حضرناه اسمه «Taste of Chicago» أو مذاق شيكاغو حيث تجتمع عشرات الجنسيات وتعرض مأكولات وقد كنا هناك بين مئات البشر من جميع الجنسيات المهاجرة من الشرق والغرب وهناك تشعر بحقيقة شيكاغو حيث تزدحم فيها جميع الجنسيات وعلى جوانب الشارع تجمع مهرجون يبيعون البالون وعدد من قراء الكف والفنجان والخزعبلات وقد ارتادهم عدد من الفارغين يتأثرون ويصدقون ما يقولون وكذب المنجمون ولو صدقوا.

ومن الممتع أن يكتشف المرء هذه المدينة الكبيرة من خلال السير في شوارعها

وأحيائها ومعالمها وبحيراتها وزرنا الحي الصيني ونظام النقل السريع حيث يتدفق في الصباح أصحاب الأعمال إلى وسط هذه المدينة بالقطارات والحافلات والسفن فهناك مد منتظم من القادمين من خارج المدينة للعمل بها كما أنها مليئة بالأحداث في كل وقت وفي شارعها الرئيسي «ميتشقن افينيو» تتجمع المتاجر الفخمة والأنيقة ومجموعة من الماركات العالمية والبنايات التي تلفت النظر وخلال التجوال في المدينة وجدنا مطعماً سعودياً هو الطازج فابتهجنا بهذا المعلم السعودي والإقبال الكبير عليه وفي الصباح الاثنين ١٤/ ٣/ ١٤٢٠هـ الموافق ٢٨/ ٦/ ١٩٩٩م أفطرنا على عجل وحزمنا حقائبنا ونزلنا إلى إدارة الفندق للمحاسبة ثم نودع مدينة شيكاغو وامتطينا سيارتنا متوجهين إلى المدينة التي يدرس فيها الابن ماجد والتي هي مقر جامعة الينوي شامبين وواصلنا السير وسرنا عبر طريق مرقوم رقم ٥٧ والطرق في أمريكا مسماة بأرقام تعنيها وتحددها إذ إن الأرقام الفردية تتجه شمالاً وجنوباً بينما الأرقام الزوجية تتجه شرقاً وغرباً وما عليك إلا أن تخرج الخريطة وتحدد المكان الذي تبتدئ منه والمكان الذي تريد أن تنتهي إليه وتقف على أرقام الطريق أو الطرق الواصلة بينهما وبهذا يصل الإنسان إلى غايته دون مرشد أو دليل ودون حاجة إلى السؤال فالخرائط متوافرة في مكاتب الاستعلامات ومحطات الوقود المنتشرة على طول الطرق خرائط واضحة ومرقمة والطرق يجد فيها المرء ما يمتعه ويشاهده من مناطق جميلة وأماكن سياحية واستراحات.

لقد انطلقنا عبر الطريق ٥٧ وأخذنا طريقنا نحو شامبين وقد حددت سرعة السيارات بحيث لا تتجاوز ٦٥ ميلاً في الساعة نحو ١١٠ كيلو في الساعة ويلتزم المسافرون في هذه الطرق السريعة بهذه السرعة المحددة كما توجد سيارات رجال

المرور الذين يراقبون حركة المرور وبسرعة خاطفة يتم إيقاف السيارة المسرعة.

وتوجد على جوانب الطريق مناطق جانبية معدة لنزول المسافرين للراحة والاستجمام ويطلق عليها (Rest Area) مناطق استراحة حيث يجد المسافر وسائل الراحة والوجبات الخفيفة والشاي والمثلجات لقد كان الطريق الذي نسلكه تنتصب على جوانبه المناظر الخضراء والبحيرات والمزارع والقرى والحقول الواسعة ولهذه الطرق ضريبة ورسوم للمرور عليها فلا بد من التوقف قليلاً عند مداخل الطرق والجسور ومخارجها لدفع رسوم المرور فلقد توقفنا ثلاث مرات أمام أكشاك صغيرة متعددة وقفنا بجوارها.

وفي بعض الأماكن نضع الرسوم بدون عامل «اتوماتيكياً» وترتفع بوابة الخروج أوتوماتيكياً وتتم هذه الأشياء في لحظات والرسوم من دولار إلى نصف وتؤخذ هذه الرسوم حسب المسافات التي قطعتها السيارة وتبعاً لطول المسافة وقصرها تدفع الرسوم كما لاحظت ذلك في عدة ولايات مررنا بها والهدف من ذلك تمويل وإصلاح هذه الطرق وتلك الجسور وتعبر هذه الطرق مئات الألوف من السيارات. لقد قطعنا الطريق خلال ثلاث ساعات حيث توقفنا في تلك الاستراحات نلتقط الصور ونستجلي النظر ونقلب الطرف في تلك المناظر الجميلة والهضاب البديعة والأودية السحيقة على حد قول الشاعر:

تـــرى الهضـــاب تعـــالى الله ســـامقة ... مـــا إن يـــرى مثلـــها في الكـــون أشـــباه

حيث يمد المرء طرفه نحو هذه المناظر فما أعظم صنع الخالق جل وعلا وأخيراً وصلنا بلدة (شامبين) دون أن نحس بالتعب حيث كانت أنظارنا مشدودة إلى مفاتن هذه الطبيعة حيث الأشجار والأنهار والبحيرات ومزارع القمح والذرة كما قال الشاعر:

واد أغـــن ســـرى النســـيم بأرضـــه مـــتر قرقـــا بنـــدى الـــثمير الصـــافي

ونزلنا ببيت الابن وهي دار أنيقة ذات طابقين على ضفاف بحيرة وبقينا في المنزل تلك الليلة حيث كنا تعبنا في نهار ذلك اليوم وبعد صلاة العشاء والاستماع للأخبار كان نومنا عميقاً وفي الصباح نهضنا وصلينا وأفطرنا ثم استرحنا قليلاً واتفقنا على أن يكون تجولنا هذا اليوم مقتصراً على معالم هذه المدينة مبتدئين بزيارة المركز الإسلامي الذي يحتوي على مسجد كبير الحق به قسم للنساء ودورات مياه ومكتبة ومكتب إداري وقد رحب بنا إمام المسجد وأدخلنا مكتبه وبدأنا التعارف وعرفنا من خلاله بعض أعمال المركز والجالية الإسلامية التي تتكون من العرب والباكستانيين والهنود والإندونيسيين والأتراك والأفريقيين وعدد من الأمريكيين الذين دخلوا في الإسلام وقلت له إن عليكم أن تبذلوا جهوداً أكثر في الدعوة إلى الله وخلال بقائنا في هذه المدينة كنا نتردد على المركز لأداء الصلاة والمذاكرة والنقاش حول الأمور الإسلامية وأهمية تعريف المجتمع الأمريكي بتعاليم السلام ودعوتهم إليه بالحكمة والموعظة الحسنة وتصحيح مفاهيمهم عن الأمة الإسلامية والعربية ثم ذهبنا إلى معالم المدينة الحضارية وتجولنا حولها وتنقلنا بالسيارة لجهات متعددة والتعرف على معالمها ومعارفها والأماكن السياحية والتجارية والحدائق العامة والمزارع الواسعة وهناك لا ترى أديم الأرض فالأرض مغطاة بالخضرة ولهذا لا تتسلل إلى البيوت ذرات الغبار حيث إن الأرض مكسوة بهذه الخضرة التي لا تفارق مواقع العين وعلى حد قول القائل:

الأرض قـــد كســـيت رداء أخضـــرا والطـــل ينثـــر في رباهـــا جـــوهرا

وتوجد بحيرات بجوار كل مجمع سكني وهي بحيرات واسعة كما توجد طرق

للمشاة وأخرى لهواة الدراجات الهوائية ولقد وقفنا عند تلك البحيرات خلال تجولنا والتقطنا صوراً جميلة على شاطئها والتي تزين المدينة وقد حوتها الورود والأزهار كنزاً حفيلاً وخضرة طبيعية خلابة وقد طلبت من الابن ماجد أن أرى بلاد الأمش على بعد ٤٠ ميلاً وذهبنا لمناطقهم حيث دخلنا منطقة من الريف الزراعي وهم قوم يرفضون كل جديد ويمتهنون الزراعة ولا يستخدمون الآليات الحديثة كالسيارة والكهرباء فمواصلاتهم عربات الخيل ويستخدمون الأشياء الطبيعية في مأكلهم وحياتهم وهم من الكاثوليك ولقد نزحوا من أوروبا منذ ثلاث مائة سنة ومنتشرون في مناطق كثيرة من أمريكا مثل أنديانا ونيويورك وبنسلفانيا وأولهم نزح إلى أمريكا عام ١٧٤٠م لا يستخدمون السيارة أو المذياع أو التلفاز أو الهاتف.

وقد سألت بعضهم عن صحة ذلك فقال: من الممكن استخدام تلك الأجهزة في حالة الطوارئ القصوى والأمور الضرورية العاجلة والإنارة لديهم مصدرها الغاز ويعمل الطفل عند بلوغه السادسة في الزراعة وإطعام الخيل حتى تكبر مسؤولياته حين يتزوج فيعطى قطعة أرض ليحرثها ويعيش فيها ولا يلبسون المجوهرات ولا يستعملون الماكياج ويطلق المتزوجون منهم لحاهم وهذا يميز المتزوج عن غيره وقد رأيتهم يسيرون مجموعات على أقدامهم في يوم الأحد وقد عادوا من الكنيسة ويتعلم أولادهم إلى المرحلة المتوسطة أو الثانوية ويقدمون أكلاتهم الشعبية والمكونة من الدجاج والبطاطا المهروسة وفطيرة التفاح وغير ذلك من إعداد البيت ويستضيف البعض منهم الزوار مقابل أجر قدره عشرة دولارات ثم يتوجه للعمل ولا داعي لدخوله الجامعة وبعد جولة في تلك القرى والمزارع والبيوت ورؤية

هؤلاء وتقاليدهم رغم طول الطريق كانت المزارع تغطي الأرض ومعظم الأراضي الزراعية منبسطة ثم عدنا أدراجنا بعد تمضية يوم حافل مفعم بالمناظر والمشاهد والذكريات ولله في خلقه شؤون.

وبعد زيارة لمدينة شامبين وتجول في معالمها ومناطقها وجامعتها العريقة وبحيراتها الجميلة وطبيعتها الخلابة وأسواقها التجارية التي تحفل بكل أنواع المنتجات والهدايا والتحف كما تكثر بها المكتبات لوجود الجامعة بها ولعل أكثر ما يميز أهلها هو البشاشة – وبشاشة وجه المرء خير من القرى – والترحيب الودود وتعاملهم اللطيف مع السائحين والطلاب مما جعلني أقول في قصيدة مطلعها:

يـا حبـذا أنـت يـا شـامبين مـن بلـد وحبـذا النهـر والأريـاف والسـمر

وبعد تمضية أيام ممتعة مفيدة في ربوعها ودعنا تلك الربوع مردداً قول الشاعر العربي:

بنفسـي تلـك الأرض مـا أجمـل الربـى ومـا أحسـن المصـطاف والمتربعـا

***

في فلوريدا

في صبيحة يوم مشرق جميل غادرت مطار شيكاغوا قاصداً ولاية فلوريدا وعندما اقتربنا من فلوريدا أخذت الطائرة تحلق فوق أراضيها وبدأت في الهبوط تدريجياً فأصبح بالإمكان رؤية طبقة فلوريدا من خلال نافذة الطائرة في البحيرات الزرق والشواطئ الكثر ويعد مطار «أورلاندو» من أكبر المطارات وعندما هبطت الطائرة صفق الركاب تصفيقاً حاداً وخلال دقائق أصبحنا خارج المطار الذي يعج بالمسافرين، وتقع هذه الولاية في أقصى الجنوب الشرقي من أمريكا ويطلق عليها ولاية الماء والخضر وهي ولاية ساحلية وعاصمتها تلاهاي ومساحتها ٥٨٥٧٠ ميلاً مربعاً وعدد سكانها عشرة ملايين نسمة، ولقد كانت من قبل مستعمرة إسبانية وبريطانية ثم اشترتها أمريكا من أسبانيا مقابل خمسة ملايين دولار وقد كانت موطناً للقبائل الهندية وانضمت إلى الاتحاد الأمريكي سنة ١٨٤٥م – وهي منطقة تمتاز بجمال الطبيعة والمناخ مما أهلها للسياحة وهي الآن من أهم المناطق السياحية ويقطنها العديد من المتقاعدين كما أن شواطئها تمتاز بالامتداد والطول على المحيط الأطلسي وخليج المكسيك ويقد طولها بـ٨٥٠٠ ميلاً.

ولقد لاحظت السهول الممتدة على مناطقها الساحلية فهي خالية من الجبال عدا بعض التلال في بعض مناطق الوسط منها أما الأشجار بأنواعها فهي كثيرة ولذا تعد الأخشاب والسياحة من أبرز مواردها إلى جانب توفر المحاصيل الزراعية من خضار وفواكه وتكثر فيها مصانع تعليب الخضار إلى جانب كثرة المواشي والأبقار وتربية الخيول – ويجد السائح في هذه الولاية الكثير مما يقوم بزيارته من آثار وأسواق ومناطق متنوعة ومنتزهات وبحيرات وأنهار وينابيع وشواطئ بحرية –

فهي ملتقى السياح على مدار العام حيث إن صيفها معتدل وطويل وشتاؤها معتدل وقد خفف الناس من اللباس في هذا الطقس فلا تجد على بعضهم إلا الثبان وهو السروال القصير، وفي سواحلها الرملية يرى السائح أقدم المنتجعات السياحية ذات السواحل الرملية الجميلة وصيد الأسماك وركوب الزوارق وممارسة مختلف الهوايات، كما أن الشمس المشرقة عامل حيوي في انتعاش السياحة في المنطقة وذكر بعض الإخوة أن فلوريدا تضم بين جنباتها ما لا يقل عن ثلاثين ألف بحيرة إلى جانب عدد من الأنهار والينابيع الطبيعية ويشاهد المرء وهو يتجول في جنباتها بساتين البرتقال والليمون والمزارع الخضراء والمراعي الخاصة بالخيول في جو معتدل وهناك جزر كثيرة ومنتجعات سياحية يقصدها السياح لممارسة مختلف أنواع الهوايات الخاصة بالمياه.

وقصدنا مدينة «أورلاندو» وقد سميت بهذا الاسم نسبةً على ذكرى الشاب أورلاندو ريفرز وكان مارساليليا قتله الهنود المغيرون أثناء حراسته في إحدى الليالي خلال الأيام الأولى من الحروب الهندية وهناك تفسير آخر هو أن الاسم هو لصاحب مزرعة غني قتله اللصوص الذين كانوا يسرقون عبيده إلى غير ذلك من الأقوال وقد أصبحت مدينة سياحية ضخمة وكان تأسيسها عام ١٨٧٥م وكانت ميلاً واحداً مربعاً وسكانها ٨٥ شخصاً وظهرت اليوم كبيرة مزدهرة ونشطت اقتصادياً وعمرانياً وكثرت فيها الاستثمارات العقارية والتجارية والزراعية وفي الخمسينيات كانت نقطة انطلاق إلى الفضاء حيث تأسس فيها مركز «جون كنيدي» على بعد ٥٠ ميلاً من أورلاندو وأصبحت مركزاً للصناعات وافتتح بها العديد من الفنادق والمتنزهات وعالم والت ديزني حيث تضم عدداً من المغريات وتحتوي هذه المدينة على العديد من المعالم الحضارية والسياحية فهناك عالم البحار أكبر منتزه من نوعه في العالم ويبعد عشرين دقيقة جنوب أورلاندو، ويقدم العديد من العروض

بجانب عروض التزلج على الماء والقوارب السريعة وعروض الطيور والبطاريق وسمك القرش وهناك عالم ديزني وهو مدينة ضخمة للألعاب والتسلية والمغامرة والترفيه فهو بمثابة منتجع كامل توافرت فيه شتى الألعاب والمناظر وحيثما توجهت تصادفك العجائب والغرائب والألعاب والاتصالات والبحيرات ومساحتها ٢٨٠٠٠ فدان ويقع على بعد ٢٠ ميلاً جنوب غربي أورلاندو وهو مفتوح طوال أيام السنة كما توجد المحلات التجارية والمطاعم وقاعات العروض والمغامرات المدهشة مما يوفر جواً ممتعاً، ولسعة هذه المدينة يأخذ المرء قطاراً للتجول في جنباتها الواسعة الممتدة وفي المساء حينما تضاء الأنوار ينطبق عليها قول القائل:

هي كالعروس يضيء فوق جنبيها ... تاج من الأنوار والأضواء
فترى زهور الياسمين تفتحت ... والفل منظوماً على الجلباب

فهي دوحة من جمال وخيوط من ضياء وبعد تمضية وقت ممتع خرجت متجولاً في ربوع هذه المدينة السياحية وما تشتمل عليه من مناظر ومشاهد وجمال ومعالم الحياة ومظاهرها وأن الملامح المميزة هي تدفق السياح عليها وتوفير المناطق والمدن السياحية والخدمات التابعة لها فقد وهب الله لهذه الولاية إمكانات طبيعية كالبحر بأمواجه والأنهار بمياهها الجارية والشمس المشرقة والطقس المعتدل الجميل والجزر المتعددة ذات الجمال الخلاب والمنتزهات والحدائق الجميلة والغابات المتنوعة وبعد تمضية أيام غادرتها والنفس مفعمة بشتى الانطباعات قائلاً:

الله أكبر ما أحلى وأجملها ... تلك المناطق والأنهار والزهر
لكن أرض بلادي في مرابعها ... يحلو الحديث بها والشعر والسمر
تملأ الفضل في أرجاء واحتها ... والمجد والنبل والأخلاق والظفر

***

جولة في مدينة لانكستر بولاية بنسلفانيا

خلال جولتي في الولايات المتحدة الأمريكية زرت ولاية بنسلفانيا وكانت زيارة جميلة، شاهدنا خلالها أراض خضراء مزدهرة وقد شملت السهول والجبال ومررنا في طريقنا بأكثر من مدينة وقرية، وإن كنا للأسف لم نستطع النزول لضيق الوقت وتعتبر بنسلفانيا من الولايات التي يكثر فيها السكان من أصول عربية، حيث يصل عددهم إلى أكثر من مئة وستين ألف نسمة ما بين أصول لبنانية وسورية ومصرية وعراقية وأصول عربية أخرى.

ومن أبرز ما تشتهر به بنسلفانيا هو احتواؤها على أول بئر نفط تم حفرها في العالم كما تشتهر هذه الولاية بالصناعة والزراعة، ولقد مررنا خلال جولتنا على أعداد هائلة من المصانع، فبنسلفانيا مقر لكثير من الشركات الكبرى الشهيرة كما مررنا على العديد من المزارع والحقول الخضراء البهية.

وتتميز بنسلفانيا بموقعها القريب فهي من أهم الولايات الأمريكية، فهي تقع في الشرق بين كل من ولاية نيوجرسي وولاية أوهايو وولاية نيويورك وفرجينيا.

ومن أبرز ما لفت انتباهي في ولاية بنسلفانيا بمدينة لانكستر منظر طائفة مسيحية تسمى الآميش يعيش أفرادها في قرى ويطبقون التعاليم المسيحية بطريقة مختلفة يبلغ عدد أفرادها حوالي ٢٥٠ ألف نسمة، وهم منعزلون عن العالم الخارجي والحياة المعاصرة ويعتبرون أن تعاليم المسيح ثابتة لا تتغير ولا تتطور ويحرصون على تطبيق التعاليم بكل عناية والتزام، ويرون أن كل الحضارة المعاصرة وما فيها من تقنيات لا تتفق مع التعاليم المسيحية.

والأميش يحرمون استعمال الكهرباء حيث يستعيضون عنها بالشموع وكذا الآلات الكهربائية والتلفاز والمكيفات والثلاجات والإنترنت والهواتف بأنواعها، كما يحرمون ركوب السيارات والطائرات. ورأيتهم يركبون الخيل والبغال والحمير والعربات التي تجرها الحيوانات في تنقلاتهم على أن يقودها الرجال وليس النساء.

والجدير بالذكر أن أبناءهم لا يلتحقون بالمدارس الحكومية وقد استثنى القانون الفيدرالي هذه الطائفة من إلزامية التعليم. والغريب إذا مرض أحدهم لا يذهب إلى المستشفى. كما يحرمون الخمر والموسيقى والأغاني، وشاهدت نساءهم وحتى الصغيرات منهن تلبسن ملابس محتشمة.

يعمل أبناء هذه الطائفة في الزراعة وتربية المواشي والدواجن ولا يستخدمون الآلات الحديثة في نشاطاتهم. وقد ناقشت أحدهم فقال نحن نسير على ما كان عليه أجدادنا في زمن المسيح، وهو النهج الذي نسير عليه اليوم، وقلت لمحدثي وهو شيخ ملأ الشيب فوديه وخطوته أخنى عليها الذي أخنى على لبد: أنكم عازفون عما يحيط بكم وزاهدون فيما حولكم، فقال بكل ثقة: نعم، وكان هناك مجموعة منهم يرمقوني بدهشة واستغراب، وسألوني من أي البلاد أنت؟ فقلت لهم: من الأرض التي طلع منها الهدى ومنطلق الرسالة المجيدة بلد الخير والنور المملكة العربية السعودية.

وقد لمست خلال التجول في ضواحي لانكستر أنهم يستقبلون الغريب بترحاب وسعة صدر. ومررنا بعدة مزارع للأبقار وفيها أعداد من الخيول التي تربى تربية جيدة من أجل استغلالها والتكسب بها.

والحديث عن هذه الطائفة ومشاهداتي لها حديث ذو شجون. وهكذا انقضى ذلك اليوم وأخذنا نستريح من عنائه لنستأنف صباح غد جديد.

ورغبة في إشباع نهمة التطلع ومعرفة المزيد من المدن توجهنا نحو مدينة فيلادلفيا أكبر مدينة في ولاية بنسلفانيا والرابعة في الولايات المتحدة، وتقع على نهر ديلاوير عند متلقاه بنهر شويلكل. ويبلغ تعدادها عام (١٩٧٠) ١.٩٥٠.٠٩٨ نسمة وهي ميناء بحري بارز يعتبر بعد ميناء نيويورك من حيث الأهمية إذ يبلغ طول أرصفته ٦٠ كلم على طول النهر. صادراتها المنتوجات البترولية والفحم والحبوب والأخشاب والطحين والبضائع المصنعة.

تستورد المواد الخاص بصورة رئيسية فيها حوض ضخم للبحرية الأمريكية ودار لسك العملة ومصانع للأسلحة بالإضافة إلى الصناعات العديدة الأخرى. كما تشتهر بتكرير البترول وبناء السفن والأشغال المعدنية والطباعة والنشر وصناعة عربات سكة الحديد والأوتوبيسات والورق.

بناها ويليام بن في العام ١٦٨٢ وقد سمى مدينته آنذاك فيلادلفيا أي مدينة الحب الأخوي للتأكيد على الطابع الديني والسياسي الذي كان يريد نشره. ولما كان هناك العديد من الطوائف الدينية البروتستانتية والأوروبية يعاني من الاضطهاد فقد جذبتهم هذه المدينة الجديدة مما جعلها تنمو بسرعة وتصبح مركزاً تجارياً وثقافياً هاماً في المستوطنات الأمريكية بحث أصبحت العاصمة الفيدرالية في الفترة من ١٧٩٠ – ١٨٠٠. ولا يزال طابع مؤسسها يبدو واضحاً على سكانها.

***

حوار عن الحضارة الإسلامية في جامعة ميشقان

خلال زيارة للولايات المتحدة الأمريكية قمت بجولة على بعض الجامعات والمكتبات وفي يوم ١٧/ ٣/ ١٤٢٠هـ الموافق ١/ ٦/ ١٩٩٩م غادرت ولاية ألينوي إلى ميشقان وهي الولاية التي أمضيت فيها فترة من الزمن للدراسة في مركز اللغة الإنجليزية في عام ١٩٧٣م في مدينة «إيست لانسنق» ولي فيها ذكريات وقلت فيها قصيدة منها:

ميشـــقان فلـــن أنســـى بهـــا أيامنـــا تلـــك الولايـــة ذكرهـــا بفـــؤادي

وقصيدة أخرى مطلعها:

يـــا لانســـنق يـــا نغـــم الهنـــا يـــا ملتقـــى الأصـــحاب والأحبـــاب

وتجولت في الجامعة التي تضم أكثر من خمسين ألف طالب وطالبة وهي مدينة صغيرة لا يبلغ سكانها مائتي ألف، وذهبت لفندق الجامعة وجلست في بهو المبنى على أريكة قد جلست عليها خلال زيارتي الأولى منذ أكثر من عشرين عاماً وحرصت على أن أرى أحداً أعرفه من الموظفين أو الأساتذة فلم أر أحداً حتى من الطلبة العرب وطال انتظاري فمللت الجلوس واتجهت إلى مدينة «أناربر» وهي تضم بين جنباتها إحدى الجامعات العريقة وكان لي مجموعة من الأصدقاء والزملاء السعوديين في ذلك وكنت أتلقى دعواتهم لحضور بعض المناسبات ولذا كنت خبيراً بها وذهبت إلى الجامعة وقصدت مكتبتها العامرة وهي مكتبة كبيرة فسيحة تشغل مبنى من عدة أدوار وبها عدد من القاعات تسمح لكل زائر للمكتبة بالجلوس في هدوء إلى مكتب مزود بالإضاءة اللازمة ليقرأ ويصور ما يرغب الزائر

تصويره من كتب أو صفحات وكنت أتجول في المكتبة للإطلاع على قسم اللغة العربية فوجدته عامراً بمجموعة من الكتب والدوريات وقبل خروجي من المكتبة جرى الحديث مع أحد المشرفين على المكتبة عن محتويات القسم العربي بها وعن الموسوعات وأمهات الكتب والمراجع والدوريات العربية والأجنبية ثم عن الحضارة العربية الإسلامية وأمجادها وتاريخها وتراثها وموقعها من العالم واتساع معارفها في العصر الوسيط خلال الخلافة العباسية وقت نهضة العرب والمسلمين وعلوم المكتبات والتوثيق والبيليوجرافيا وقد كان لأسلافنا محاولات قام بها العلماء المسلمون رغم محاولة مؤرخي العلوم طمس معالمه التي كانت عند علماء المسلمين والتي جسدت المعالم الفكرية والعلمية التي كانت سائدة في المجتمع الإسلامي وكذلك أعمال تصنيف علوم الدين واللغة العربية وعند الحديث عن التصنيف قلت له: لقد عرف أسلافنا التصنيف وقد برز ذلك في وجود المعاجم العربية القديمة وكان التصنيف ناحية علمية جرى الاهتمام بها في الأندلس وفي المشرق العربي ومن يراجع كتاب «مفتاح السعادة» ومصباح السيادة في موضوعات العلوم يجد إجابة على ذلك وإيضاحاً فقد أوضح صاحب كتاب مفتاح السعادة هذا العلم وبين معالمه ووسائله وطرقه بأسلوب جلي واضح ومن يراجع كتاب إحصاء العلوم للفارابي ومفاتيح العلوم للخوارزمي كما برزت في القرن الرابع الهجري كتب الموسوعات والمعاجم لابن النديم وكابش كبرى زاده وابن خلدون والكندي وابن سيناء كما أن كتب المنطق وعلم الكلام والتوحيد وغير ذلك من الكتب والمؤلفات ولقد قال محدثي أن تلك الكتب التي تشير إليها هي ضمن المدرسة التقليدية والمستمدة من تأثير المدرسة اليونانية قلت: إن الفكر العربي الإسلامي موجود وله فاعليته في ذلك وتأثيره ومدارسه وقد أثبت علماء الغرب ممن تصدوا

للتصنيف الببليوجرافي ذلك ضمن تاريخ التصنيف.

ثم قلت له: إن في العالم العربي اليوم اهتماماً متزايداً بذلك فهناك محاولات جادة في أغلب المكتبات الكبيرة والجامعات ومراكز البحوث مثل دار الكتب المصرية ومكتبة الملك فهد الوطنية ومكتبة الملك عبدالعزيز العامة لإيجاد طريقة التصنيف وسلوك طريقة التصنيف العشري لديوي مع العمل على إجراء بعض التعديلات وخاصة ما يتصل بالدين الإسلامي واللغة العربية وآدابها والتاريخ الإسلامي – وهناك محاولات جادة في العالم العربي لإعداد خطة عربية للتصنيف تقوم وتنطلق من حاجات المكتبات مع إجراء دراسة مقارنة لاختيار الأسلوب مثل الإيجاد خطة عربية للتصنيف وهو ما يتمناه كل عربي ومسلم ويتم بذلك تصنيف علوم الدين الإسلامي بحيث تلتقي جهود أسلافنا مع جهود علماء العصر الحديث من المسلمين والاستفادة من تلك العلوم المختلفة وحسن ترتيبهم لها بحيث يلتقي الجديد مع القديم وإبراز علوم الدين الإسلامي كعلوم القرآن والحديث والفقه والتوحيد والتفسير .. إلخ ثم اللغة العربية وآدابها والتاريخ الإسلامي والتي هي متممة ومكملة للعلوم الشرعية والتي هي تجسد ذاتية الأمة الإسلامية وتاريخها وحضارتها وتراثها ونسأل الله أن يحقق ذلك سريعاً بحيث يبرز عمل واسع كبير يكون في حجم الحاجة وبعد الغاية عمل ينهض شاخصاً وشاهداً ليسد تلك الفجوة وإبراز المعرفة وحجمها عند أسلافنا في الماضي ومكانتها في الحاضر وقيمتها في المستقبل.

ثم كان السؤال عن الحضارة الإسلامية فقلت: لقد تميزت الحضارة الإسلامية بالتفوق العلمي والتألق المعرفي، ومن المؤسف أنه رافق التطوير العلمي

والتقني في الغرب نسيان العلم عند الأمم الأخرى والتفاعل الحضاري لدى الآخرين، ونرى البعض من مؤرخي العلم يتجاهل دور العرب الذي اعترف به العلماء المنصفون في جامعات الغرب كما هو منقوش بماء الذهب في سقف مكتبة الكونجرس الأمريكي.

وكان الحديث والحوار عن الحضارة العربية الإسلامية ونبوغ علمائها في الطب والكيمياء والفيزياء وعلم الجبر والبصريات والفلك والعمران وتاريخ العلم عند العرب، فوجدت في هذه المكتبة من ينصف تاريخ العلم عند أسلافنا ويتحدثون عنهم كشخصيات علمية عالمية مثل ابن سينا والبيروني والخوارزمي وابن النفيس وابن ماجد وابن الهيثم والزهراوي وجابر بن حيان والفارابي والكندي وابن خلدون وغيرهم من عشرات الأعلام من العلماء والرواد.

إنهم علماء يتذكرهم التاريخ فالعلم لا حدود له ولا وطن، ومن المؤسف أن نرى اهتمام المكتبات الغربية بذلك ولا نجد الاهتمام بذلك في بلادنا العربية، بل أذكر أن قرأت مقالة في إحدى المطبوعات العربية يتجاهل كاتبها تاريخ العلم عن العرب ولا يعترف بأثر هؤلاء الأعلام في الرياضيات والفلك والنبات والجبر والأرقام.

ولقد كتب مؤرخ تاريخ العلم أن ابن الهيثم في مقدمة علماء الطبيعة في جميع العصور والبيروني صاحب المثلثات والخوارزمي أول من وضع كتاباً في علم الجبر، وعلينا أن نثري مصادر البحث بتاريخ العلم عند أسلافنا وإلقاء الضوء على ذلك ونحدد ونبرز معالمه ونمهد بذلك سبيل سبل البحث حول هذا الموضوع وتوعية الأجيال نحوه ودحض افتراءات من يتبنى مواقف الشعوبية قديماً وحديثاً التي تنكر

على العرب أي فضل في الآداب والعلوم وتنسب تراثها إلى اليونان حيناً وإلى الفرس والهند حيناً آخر.

ففي الوقت الذي كانت فيه أوروبا تعيش في جهل وظلام وحروب وقسوة كانت جامعات الأندلس في قرطبة وطليطلة وغرناطة تشع علماً ونوراً وحضارةً ومن يتتبع التاريخ قديمه وحديثه يجد أن الأمم ترقى بازدهار العلوم فيها وتنحط بإنحطاطها، فالعصر العباسي مثلاً يعد من عصور العلوم في مسيرة الحضارة الإسلامية بل الإنسانية فقد شغف المسلمون في ذلك العصر بالعلم والمعرفة إذ في عهد الخليفة المأمون شيد أول مجمع علمي في بغداد ضم مكتبة ومرصداً فلكياً وهيئة للترجمة إلى غير ذلك من التقدم العلمي في ذلك العصر.

وكان الإنتاج التاريخي الإسلامي فاق في الكم والكيف نظيره الغربي في العصور الوسطى، وكان محدثي يسأل ويصغي إلى الحديث باهتمام، ثم ودعته شاكراً له اهتمامه وتهيئته هذا اللقاء الذي يستهدف إلقاء الأضواء على صفحات من تاريخ الحضارة الإسلامية.

***

حول الجامعات الأمريكية

إن الجامعات تحظى بعناية ورعاية فهي بحق مدن جامعية متكاملة وتتوقف حياتها على الجامعة وطلبتها فلا جلبة ولا ضوضاء، والجامعات هناك منها ما هو أهلي ومنها ما هو حكومي تضطلع الدولة بأعبائها الوفيرة، كما أن المكتبات عامرة بشتى الكتب والمراجع فلا يشعر الطالب والباحث بنقص، ومتى بحث الطالب عن كتاب فلم يجده فإن الحصول عليه يسير من الجامعات والمكتبات الأخرى بزمن قصير علماً بأن الكتب تباع بأسعار زهيدة ولا تقتصر الجامعة على مكتبة واحدة بل فيها إلى جانب المكتبة العامة مكتبات للكليات والأقسام الأخرى وقاعات للبحث وغرف للباحثين، ولقد وجدت أن بعض الجامعات في ميتشقان وهارفارد وشيكاغو وأنديانا ونيويورك وواشنطن وغيرها من الجامعات تشتمل مكتباتها على أكثر من ثلاثة ملايين كتاب إلى جانب المخطوطات والمطبوعات الدورية والشهرية وغيرها مما ينشر في مختلف العواصم والمدن الأخرى في العالم ورسائل الماجستير والدكتوراه التي يقدمها الباحثون في العالم بأسره.

أما المتاحف والمعامل والمختبرات فالجامعات مليئة بها وبشكل منسق ودقيق، ويحرص علماء اللغات على تسجيل اللهجات واللغات عن طريق الناطقين بها وخاصة وأن الجامعات بها أعداد من الموفدين من شتى بلدان العالم.

ولقد رغبت في أن أقف على الكثير من المكتبات ودور العلم وعنيت أكثر ما عنيت بزيارة مجموعة من الجامعات ومكتباتها، وكم وددت لو طال بي الزمن لأزور معظم الولايات والوقوف على الكثير من المعالم والمؤسسات الثقافية

والفكرية والتربوية، وآمل أن تتاح لي الفرصة لاستكمال ذلك، ولقد أقمت في بداية ذهابي إلى هناك حيث يقيم الطلبة والأساتذة واشتركت في الكثير من مظاهر الحياة فشهدت الكثير من الدروس والمحاضرات وجلست في قاعات البحث والمكتبات وطفت بالمعامل والمختبرات والأندية والملاعب ودعاني البعض لزيارة دورهم ومنازلهم في بعض المدن والقرى. لم تخل تلك اللقاءات والزيارات من فوائد ودروس وذكريات مما ترك في نفسي أثراً وذكريات لا تنسى.

إن معظم الجامعات في أمريكا تحظى باهتمام وعناية إذ يقع الكثير منها في القرى والمناطق الهادئة بعيدة عن المناطق الصناعية وجلبة المصانع وضوضاء المدن مما يوفر للطلاب الطمأنينة وراحة النفس وهدوء البال والإقبال على الدراسة والبحث والتأمل والمذاكرة والدراسة فينقطع الطالب للعلم لا يكاد يشغله شاغل.

ويحضرني بعض الذكريات التي لا تزال صورها ماثلة أمامي، فقد كنت في زيارة لإحدى الجامعات في ولاية أكلاهوما وقد طلب مني أحد الطلاب أن أسجل له بعض الكلمات باللغة العربية الفصحى، ثم طلب مني آخر أن أسجل له بعض الأشعار العربية. ثم فوجئت بأحد الطلاب يقدم نفسه بأنه من معهد الصوتيات ويرغب في تسجيل بعض الكلمات العربية.

ولا شك أن حرصهم على ذلك دليل على اهتمامهم بهذا العلم؛ لأن في ذلك فرصة لهم يستفيد منها الطلاب وعلماء اللغات واللهجات، ولقد وجدت مجموعة من الطلاب الأتراك والإيرانيين يطلبون مني ذلك قائلين إن ذلك يعينهم على معرفة ودراسة اللغة العربية وإجادة نطقها، ولقد قرأت أن إحدى الجامعات في بلومنتجتن تستعد للتحضير مؤتمر للهجات ووجهت دعوة مفتوحة للراغبين في ذلك من مختلف أنحاء العالم من علماء اللغات.

إن بعض الجامعات يزيد عدد طلابها عن خمسين ألف ومع هذا فلا جلبة ولا ضوضاء بل نشاط متجدد ونظام دائم وحركة متواصلة وعمل مستمر وهدوء في الدخول والخروج، ولذا فإن منصب رئيس الجامعة لا يقل عن أكبر منصب في الدولة فهو رفيع الشأن ويتنافس العلماء في الفوز به.

هذه لمحة سريعة وصورة من الحياة الجامعية في أمريكا، والمهم أن تستفيد مما هو جدير بالفائدة منه وليس كل ما في الجامعات حميداً خاصة بالنسبة لنا ولتقاليدنا الإسلامية، ولكن ينبغي أن نأخذ ما يكون حسناً ومفيداً وندع ونتجنب ما يكون ضاراً وسيئاً، فالجامعات في كل أمة هي مناط الرجاء ومعقد الأمل ووسيلة إلى النهوض والرقي والتقدم بل ومعمل لإعداد الرجال.

***

الطلاب المسلمون في أمريكا

بمناسبة ذكرى المولد النبوي أقام اتحاد الطلاب المسلمين في أمريكا حفلاً بهذه المناسبة وقد وجهت الدعوة إلى عدد كبير من الطلاب والأساتذة وغيرهم، وقد تلقيت دعوة من اللجنة المشرفة على تنظيم هذه المناسبة بالمشاركة في إلقاء كلمة عن الحضارة الإسلامية، وقد لبيت الدعوة؛ لأني رأيتها فرصة ذهبية أن يرتفع صوت الإسلام وسط هذا الزخم الهائل من نشاط الجمعيات المسيحية واليهودية ونشاط الكنيسة ووعاظهم الذين يحاولون أن يجتذبوا إليهم أكبر عدد من شباب المسلمين الذين يتلقون دراساتهم في تلك المجتمعات بأعمق أساليب التأثير كما أن جمعيات الطلاب المسيحيين لها نشاط واسع في الجامعات ولهم نشاطهم ومشروعاتهم الرامية إلى التبشير ونشر الديانة المسيحية.

وقد كان ذلك كله من بواعث حماسي لاهتبال هذه الفرصة والمشاركة في ذلك اللقاء الإسلامي الكريم، وقد بدأت الحديث مباركاً هذا اللقاء ومرحباً بالحاضرين من أبناء الديانات الأخرى، وتحدثت عن الرسالة الخالدة وأهدافها العادلة وحينما كنت مسترسلاً في الحديث عن ذلك ومستدلاً بنماذج من تاريخنا وتراثنا ورجالنا إذا بأحد الإخوة ممن أعتنق الإسلام حديثاً ينبري قائلاً: أرجو أن تحدثنا عن العدالة في الإسلام فقد أفقدتنا بعض الديانات إنسانيتنا وكرامتنا فقلت: إن الإسلام لا تمييز فيه بين أبيض وأسود بل أمة واحدة لا يرتفع ويتعالى صاحب اللون الأبيض على الأسود بل الكل سواء عند الله فلا تمايز إلا بالعمل الصالح: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم». وفي الحديث «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم

كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر» فالأخوة الإسلامية هدف من أهداف الإسلام، وفي كل التشريعات الإسلامية يلمس المرء ذلك واضحاً جلياً بارزاً ففي الصلاة يقف المسلمون جميعاً فلا تفاضل بين غني وفقير ولا أسود وأبيض وفي الحج يلبس الناس لباساً واحداً ويؤدون منسكاً واحداً وفي الصوم موقف واحد.

ثم أردف أحد الأخوة الحضور بسؤال عن إعطاء أمثلة ونماذج فقلت: لقد كرم رسول الله ﷺ سلمان الفارسي وصهيباً الرومي وبلال الحبشي وكانت لهم المكانة الرفيعة فقد أمر رسول الله ﷺ بلالاً أن يؤذن فوق الكعبة يوم فتح مكة والكعبة لها قدسيتها وعظمتها.

وقد كان رسول الله ﷺ باراً بالفقراء وكذلك خلفاؤه من بعده يجوعون ليشبع غيرهم ويتفقدون الناس في منازلهم، وأعطيت أمثلة من مواقف عمر الخالدة المشهورة كما أن الكثير من الوفود الإسلامية إلى الملوك والرؤساء كان على رأسهم أمثال عبادة بن الصامت وعطاء بن أبي رباح وهما معروفان بشدة سوادهما ولم يمنعهم سوادهم من تسلم المناصب القيادية فالإسلام لم يكن معروفاً في تاريخه بالتمييز العنصري بل تطبيق واضح لمبادئ الإخاء والمساواة.

لقد كان للحضارة الإسلامية دور فعال وأثر بارز في مختلف الميادين الفكرية والعلمية والخلقية والأدبية وفي ميدان الطب والفلسفة والعلوم والرياضيات، فقد استيقظت دول أوروبية عديدة على آثار علمائنا ومفكرينا وفلاسفتنا في قرطبة وغرناطة والقيروان وبغداد ودمشق ومكة والمدينة، تلك العواصم كانت تتألق بالعلم والمعرفة ونشطت حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية مما هو معروف

وواضح، وكتب المستشرقين تمتلئ اعترافاً بذلك ومنهم غوستاف لوبون ومسيورنان فمن يرجع إلى كتاباتهما يدرك أن للحضارة الإسلامية فضلاً في التقدم العلمي.

وختاماً فإن واجب شباب الإسلام اليوم أن يكونوا على مستوى المسؤولية ويقتدوا بأسلافهم ويقودوا الناس إلى مبادئ الإسلام والحق والخير، وما أجدرنا أن نتأمل قول الله ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[1].

وبعد فحسبي من ذلك الحديث الموجز أن ألفت الأنظار إلى ديننا وحضارتنا وإن كنت لم أتمكن من توفية هذا الموضوع حقه ولكن الدقائق المحددة لم تسمح لي بأكثر من ذلك، والمهم اختيار الوسيلة والأسلوب المناسب الحسن الذي يتقبله الآخرون.

وأخيراً لقد انقضت تلك الأيام وبقيت الذكريات من تلك اللقاءات العلمية:

رعى الله أياماً لنا وليالياً سعينا بها للمجد والدهر مسعد

***

(١) سورة الحج، الآية: ٤١.

في مكتبة الكونجرس

المكتبات في كل أمة عنوان رقيها وتطورها فهي تؤدي أصدق خدمة وأجلها إذ تساهم في تكوين الحاضر والتهيئة للمستقبل، فهي من أهم ركائز المجتمع إذ تتحف عشاق المعرفة ورواد العلم والآداب بيانبيع من المعارف والفوائد والعلوم، فهي حجر الزاوية في تكوين المواطن القارئ والمجتمع القارئ، ومكتبة الكونجرس الأمريكي هي أكبر المكتبات في العالم تستأثر باهتمام الزائرين إذ يحرص كل فرد يصل إلى تلك الربوع على زيارتها وقد أصبحت شهرتها تجذب الناس إليها.

ولقد أتيح لي زيارة عدد كبير من المكتبات في مختلف البلدان ولكني لم أشاهد مثيلاً لهذه المكتبة، فهي أضخم مكتبة في العالم في نظري. وخلال زيارة لمدينة واشنطن العاصمة ذهبت لزيارة تلك المكتبة وبقيت أتجول في ردهاتها وبين مختلف قاعاتها وخزائن كتبها عدة ساعات.

ولكم بهرت وأنا أشاهد ما تحفل به هذه المكتبة من روائع الحضارات وما تزخر به من شتى الثقافات وما تفيض به من ملايين المجلدات في مختلف ميادين المعرفة وفنون العلم وضروب الآداب والحضارات القديمة والحديثة ومصادر البحث ودوائر المعارف بالإضافة إلى ما حفلت به من مختلف الفهارس العامة والخاصة والمنوعة إلى جانب الموسوعات التي يجد الباحث فيها مبتغاه ويروي ظمأه من هذه المناهل العذبة الوافرة.

ورغم تلك الساعات التي قضيتها في رحاب المكتبة لم أتمكن من مشاهدتها كلها ورؤية كافة جوانبها ففيها يتوافر كل ما يحتاجه الباحث من مصادر البحث

والمعرفة نظراً لوجود المراجع، وهي من أهم أسس المكتبات إذ هي عماد المعرفة وركيزتها وهي السبيل الوحيد للاطلاع الواسع على مختلف أنواع الثقافة والمعرفة قديماً وحديثاً، ولكي تقوم المكتبة بواجبها على الوجه الأكمل يجب تزويدها بالعديد من المراجع التي تقوم بحفظ المعرفة والثقافة على مر العصور والأجيال.

فالكتب هي السجل الدائم للحضارة والثقافة الإنسانية وستبقى باستمرار ذات أثر بارز وحيوي للوفاء بالاحتياجات العلمية والثقافية والتربوية.

ومن هنا تبدو أهمية مكتبة الكونجرس العلمية فلقد شاهدت العديد من الباحثين والمؤلفين جاءوا من مختلف الولايات وشتى الجامعات ومراكز البحوث إلى جانب العديد من الطلاب ممن يحضرون رسائل الماجستير والدكتوراه غارقين في بحر من الكتب والنشرات والقصاصات والدوريات، والخرائط والصور واللوحات التوضيحية والشرائح التعليمية والأفلام الناطقة والصامتة إلى غير ذلك من الأجهزة الحديثة التي تعرض بها المواد البصرية والسمعية، مما جعلها مقصداً للرواد والزوار.

ولقد جرى تصميم هذه المكتبة على أحدث طراز في فن البناء وزينت بالصور والرسوم الجميلة إلى جانب الذوق الفني الرفيع في بنائها إذ هي تقع في أبرز مكان بمدينة واشنطن وبجوار مجلس الكونجرس الأمريكي والمحكمة العليا، وتمتاز تلك المنطقة بجمالها الفتان ومناظرها البديعة وخمائلها المبهجة التي تسر الناظرين.

والحديث عن المكتبات حبيب إلى النفس وقريب إلى القلب وكيف لا يكون كذلك وهي أكبر مظاهر التقدم والمقياس الصحيح لرقي الأمة فإذا أردت أن تعرف هل ارتقت أمة من الأمم وما مقدار هذا الرقي أو الانحطاط فأعرف عدد مكتباتها

وقرائها فبمقدار عدد المكتبات وروادها يكون الرقي وعكس ذلك دليل على الضعف والخمول.

ولمكتبة الكونجرس الأمريكية رسالة عظيمة تؤديها، وليس أجدى وأنفع من تقديم العلم والمعرفة بأيسر السبل، فقد شاهدت الآلاف من الشباب يتهافت على دخول المكتبة بدافع من الجد الفائق والنشاط الكبير، ومع هذه الأعداد الكبيرة من الناس فإن لهذه المكتبة نظاماً عاماً يخضع له الجميع من رواد وزوار فلا صخب ولا ضجيج ويمنع التصوير داخل المكتبة إلى غير ذلك من التعليمات، ولقد توجهت صوب المكتبة وعند بابها أخبرني أحد الحراس قائلاً: ممنوع التصوير داخل المكتبة فقلت: لقد أضعت ساعتين في البحث عن فيلم ألتقط به صوراً لهذه المكتبة وتخليداً لزيارتها ولو كنت أعرف ذلك لما أضعت وقتي متنقلاً من مكان إلى مكان في وسط شوارع واشنطن الضخمة فقال: إن تعليمات المكتبة تنص على ذلك وبإمكانك ترك المكينة هنا أو اصطحابها معك مع ملاحظة عدم التصوير، والقصد من ذلك كما فهمت هو عدم إزعاج القراء وغير ذلك من الأسباب؛ لأني دخلت متحف واشنطن فكادت عيناي لا تبصران ما في داخل المتحف نظراً لكثرة التقاط الصور من السائحين والزوار بدرجة تزعج المشاهدين وخاصة أن آلات التصوير تطورت تطوراً هائلاً وأصبحت عدسات الإضاءة تجهر كل عين وتؤذيها.

ولنعد إلى الحديث عن مكتبة الكونجرس فلقد عهد بتنظيمها إلى أكبر الكفاءات العلمية البارزة هناك فرغم ما تحويه من كتب وموظفين وخبراء فقد نظمت العلاقات المختلفة بين هذه الجماعات العاملة فيها كأنها آلة ميكانيكية متحركة، فليس هناك شيء اسمه من اختصاص الجهة الأخرى فقد أمطرنا المرافق

الذي خصصته لنا إدارة المكتبة بوابل منهمر من الأسئلة العامة والخاصة والدقيقة فكانت الإجابات في منتهى السرعة والوضوح سواء منه أو من سواه.

ويعود تاريخ مكتبة الكونجرس لعام ١٨٠٠م ويوجد بها حالياً من الكتب خمسة وثمانون مليوناً ما بين كتاب ووثيقة ومخطوطة، أما عدد الكتب فهي ستون مليون كتاب ومائة وعشرون ألفاً من مجلدات الجرائد والمجلات الدورية والعامة و٧٥٠ ألف بكرة ميكرو فيلم و٢٠ مليون مخطوطة أكثرها يتعلق بتاريخ أمريكا وحضارتها و٣ ملايين خارطة و٣ ملايين صورة وشريحة ومئات الآلاف من الاسطوانات الموسيقية وغير الموسيقية والأفلام [١].

وإلى جانب ما أتاحته للقراءة المبصرين فلم تغفل إخوانهم المكفوفين إذ يوجد بها أكثر من مليون ومائتي ألف كتاب مجلد مطبوعاً على طريقة برايل إلى جانب الاسطوانات وغيرها الخاصة باستعمال الإخوة المكفوفين.

كما أن عدد موظفيها والعاملين بها أربعة آلاف شخص وقد سألتهم عن أقدم كتاب يوجد بهذه المكتبة الكبيرة فقيل لي أن أقدم كتاب بها يرجع تاريخه إلى ما قبل أربعة آلاف سنة وهو من مصر.

ولقد شاهدت بها كتابين أحدهما من جلد الغنم والآخر من جلد العجل يعود تاريخهما إلى ما قبل خمسمائة عام وقد كتب عليهما الإنجيل. كما توجد قاعة خاصة حفظت بها جميع رسائل قادة أمريكا ورؤسائها منذ أكثر من مائتي عام، ووضعت كل رسالة في داخل زجاجة مقفلة تحمل توقيعاتهم، ولقد عن لي أن أسأل عن عدد اللغات التي كتبت بها هذه الملايين من الكتب والمجلدات فكانت

---

(١) كانت الزيارة في عام ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

إجابة مرافقنا عن ذلك سريعة هي مائتان وخمسون لغة قديمة وحديثة تمثل مختلف لفات العالم، وإلى جانب ذلك توجد خمس عشرة قاعة للمطالعة على أحد طراز وكل قاعة على شكل قبة تحتوي على مختلف الصور والرسوم، ويشاهد في أعلى كل قبة رسوم رائعة خلابة لمختلف الحضارات ومن بينها الحضارة الإسلامية وبها جذع شجرة يعود تاريخه لأكثر من سبعة آلاف سنة على حد تعبير مرافقنا، وهذه الإحصائيات التي أوردتها أخذتها مشافهة عن موظف المكتبة الذي خصصته إدارة المكتبة لمرافقتنا والإجابة على أسئلتنا.

وأمام هذا البحر المتلاطم الزاخر بالعلم والمعرفة والكتب دار في ذهني تساؤل عن الكتاب العربي واللغة العربية وهل تبوأت مكانة لائقة بها في هذه المكتبة العريقة؟ فلا ريب أن الثقافة الإسلامية العلم والمعرفة بما تحمله من آثار جليلة في حقول العلم ورياض الآداب وميادين الفكر قديماً وحديثاً، فتوجهت بسؤال عن عدد الكتب العربية الموجودة في هذه المكتبة وخلال دقائق جاءت إحصائية بأن عدد الكتب العربية ثمانون ألف كتاب كما يوجد (٢٥٠) مائتان وخمسون ألف عنوان لكتب ومؤلفات عربية وهذا الرقم خلال الزيارة عام ١٣٩٣هـ.

ولعل مما يثير الدهشة أن كل ثلاث ثوان يدخل إلى هذه المكتبة كتاب جديد.

وبعد تجوال طويل تركت هذه المكتبة حاملاً أجمل الذكريات إنها لجديرة بكل إعجاب وخليقة أن تذكر في سجل أوائل المكتبات الحديثة على مر الأجيال.

***

حوار مع الملحق الثقافي السعودي في واشنطن

إحدى المهام الأساسية التي توليها الملحقية الثقافية في واشنطن عناية هي خدمة الطالب وتوثيق العلاقة به وخلال حوار مع سعادة الملحق الثقافي السعودي في واشنطن قال: إن عدد الطلاب السعوديين يزيد على عشرة آلاف طالب من المرحلة الجامعية والدراسات العليا وإن هناك أكثر من ثلاثين نادياً للطلاب السعوديين وتعمل الملحقية على تقديم الخدمات لتمكنهم من أداء رسالتهم وتعليمهم لكي يعودوا إلى الوطن وهم قادرون على حمل رسالة العلم والمعرفة والإسهام والمشاركة في مسيرة النهضة الحضارية الشاملة وسألته عن مستوى الجامعات وطلابها السعوديين فقال:

إنهم يتميزون بالتحصل والوعي والسمعة الطيبة وأن الملحقية تقدم الخدمات الأكاديمية والثقافية والاجتماعية والمتابعة العلمية والإشراف الدراسي ولقد قرأت في مجلة المبتعث التي تكرم الدكتور حمد السلوم بإرسالها مع مجموعة من الصحف أخباراً ومعلومات طيبة عن شبابنا وتفوقهم وتحصيلهم وتذليل الملحقية لهم كل الوسائل لإيجاد المناخ المناسب لمواصلة الطالب دراسته في هذا المجتمع.

وسألت عن معاهد اللغة المناسبة والأبحاث التي يجريها طلاب الدراسات العليا وكيفية الاستفادة منها، نسأل الله أن يعين الملحقية على أداء رسالتها في هذا المجتمع وبيئته الثقافية والاجتماعية.

ولقد عملت على تأسيس الأندية الطلابية السعودية لتوفير البيئة والمناخ المناسب وتزويد الطلاب بالكتب والصحف والمجلات والنشرات وغير ذلك من

التواصل الثقافي مما تصدره الملحقية للتوجيه والتعريف وخدمة الطالب في مفهوم واسع ولقد سررت وأنا أطالع مجلة المبتعث بما تحمله من توجيهات وأخبار عن المتفوقين من الطلاب وعن التخصصات العلمية والإدارية والطبية والزراعية والحاسب الآلي واللغات كما استوقفتني إحصائية الخريجين في مختلف التخصصات العلمية والإدارية والطبية والزراعية والحاسب الآلي واللغات كما استوقفتني إحصائية الخريجين في مختلف التخصصات وإزاء هذه الخدمات فلا بد من تقديم الشكر على ما تهيئه الملحقية الثقافية من خدمات للمبتعثين محققة بذلك واحدة من أهم رسالتها ووظائفها ومسؤولياتها هادفة من وراء ذلك كله خدمة العلم والطالب والبحث والمعرفة والارتقاء بذلك من أجل تحصيل علمي رفيع، حقق الله الآمال ووفق الجميع.

***

دور رائد للأكاديمية الإسلامية السعودية في أمريكا

حفلت السنوات الأخيرة وشهدت بنشاط ثقافي وعلمي لبلادنا في ديار الغرب وهي ظاهرة تدل على التطور الحضاري والعلمي الذي بلغته هذه البلاد بأوسع مدلولات ذلك ونرى الدليل التاريخي الساطع لذلك فيما نطالعه ونقرؤه عن المراكز الثقافية الإسلامية في الشرق والغرب ولعل آخر ما وقع بين يدي عدد خاص من مجلة أخبار الأكاديمية الإسلامية السعودية بالولايات المتحدة الأمريكية كرم به الدكتور سعد العدواني مدير عام هذه الأكاديمية الإسلامية السعودية بواشنطن حيث أصبحت مصدراً للثقافة والقيم العربية الإسلامية في أمريكا تقدم لأبناء الجالية العربية الإسلامية في منطقة واشنطن الكبرى مستوى تعليمياً عالياً في بيئة تربوية إسلامية حيث تمثل بنظامها التعليمي المزدوج ذي المنهجين السعودي الأمريكي نموذجاً يحتذى وقدوة يلتف حولها العرب والمسلمون لإلحاق أبنائهم بها بعدما لمسوا دورها الكبير في المحافظة على الشخصية الإسلامية والهوية العربية لطلابها الذين يتأهلون للدراسة الجامعية ويمتازون بمعرفتهم للدين الإسلامي الحنيف ولغتهم العربية.

وإن هذه الأكاديمية السعودية تعتبر معلماً بارزاً من معالم التربية والثقافة يلمع في سماء الغرب ويشع بالعلم والعرفان وتنهض برسالة الإسلام ومثله الكريمة وحضارته الشامخة.

ونتمنى لهذه الأكاديمية المزيد من التوفيق ولتزداد مكانتها وسمعتها ودورها الرائد وما ترمز إليه من أهداف تربوية مثلى ودور كبير في المحافظة على الهوية

الإسلامية والشخصية العربية التي تعتز بقيمها وتاريخها وتراثها ولغتها وتأصيل المثل العليا وحمل راية العلم والعرفان وخدمة اللغة العربية الخالدة ورفع لواء راية الإسلام.

إنه لعمل يدعو إلى الفخر والإعجاب والاعتزاز حيث تضم بين جنباتها أكثر من ألف وثلاثمائة طالب وطالبة نصفهم من أبناء المملكة العربية السعودية والباقون موزعون على ثلاثين جنسية.

وشكراً وتقديراً لمديرها المفضال على ما أفضل به من معلومات قيمة في محتوى هذه المجلة ومزيداً من النجاح والتوفيق والتألق لهذا الصرح التعليمي السعودي في أمريكا.

***

حديث عن الكتاب والتراث في جامعة أليينوي

خلال زيارة الولايات المتحدة الأمريكية قمت بجولة في أقسام جامعة إلينوي ومراكز البحث العلمي فيه حيث تضم الجامعة عدداً كبيراً من الطلاب يبلغ خمسة وخمسين ألف طالب وطالبة وأنشئت هذه الجامعة في عام ١٨٦٧م وبعد ذلك قمت بزيارة لمكتبة الجامعة التي تتكون من ثمانية طوابق وتحتوي أكثر من عشرة ملايين كتاب وفي الطابق الخامس منها يوجد القسم الآسيوي وبه ركن خاص بالكتب العربية وقدموا لي بطاقة تهيئ لي فرصة التردد على المكتبة فكانت فرصة لإهداء هذا القسم مجموعة من المؤلفات والكتب السعودية حيث إن القسم خال منها وجرى الحديث مع المشرفين على المكتبة وهم على جانب من دماثة الخلق وحب العلم والمعرفة والثقافة والاستماع لكل من يعرف بلاده وثقافته حيث كان الحديث عن المكتبات والجامعات في المملكة العربية السعودية وما وصلت إليه من رقي وتقدم ودور ريادي.

والمرء لا يمل من الحديث عن بلاده والتعريف بها بل هي رسالة سامية. وعليه ننتهز الفرص ونغتنم المناسبات ومد جسور التواصل والتعارف والحرص على ألا يؤثر عنه إلا ما يؤكد ثقة من يتحدث إليه به واحترامهم لما يقوله ولقد سررت أيما مسرة بوجود ركن خاص بالكتب العربية ثم جرى الحديث عن الفهرسة والببليوغرافيا (ثبت المراجع) في المكتبة والمخطوطات التي وصلت للجامعة من مختلف أنحاء العالم وسألني أحدهم عن ابن النديم محمد بن إسحاق صاحب كتاب الفهرست فقلت: إن كتابه أهم مصنف للمطبوعات وكان وراقاً

نادراً وعلماً فذاً له شهرة بين علماء عصره في القرن العاشر وكان نموذجاً لتجار الكتب في ذلك الوقت فهو رائد في علم الفهارس على المستوى العالمي وكان شاهداً على حضارة أسلافنا في ذلك العصر.

وجرى الحديث عن ابن خلدون حيث قال أحدهم إنه أثار اهتمام المستشرقين والباحثين الغربيين فقلت: لا ريب أن ابن خلدون رائد كبير وقد برز العلم في التاريخ على يده في القرن الرابع عشر فهو متفوق في مجاله وعلم التاريخ أفسحت له الحضارة الإسلامية مكاناً كبيراً وهذا ما يؤكد عليه الكثير من المفكرين الغربيين وأن الحضارة الإسلامية هي أكثر الحضارات اهتماماً بالتاريخ ومقدمة ابن خلدون تجسد تجديداً ووثبة نوعية في علم التاريخ حيث نراه يجسد الأسباب العميقة للأحداث وقال محدثي: إن العرب لم يكتشفوا ابن خلدون إلا في القرن العشرين فقلت: لقد عرف قدره في عصره ويستمد مادته التاريخية من معايشته لعصره وقراءته الواسعة في التراث العربي الإسلامي فهو واضع علم الاجتماع وله آراء سديدة في نشوء الدول والحضارات وتدهورها ولقد استشهد الرئيس الأمريكي ريجان بآرائه حين أراد تخفيض ضرائب الدخل عام ١٩٨١م لإنعاش الاقتصاد الأمريكي.

كما جرى الحوار حول الحضارات وقلت: في العصور الوسطى تعلمت أمم كثيرة من المسلمين في مجالات الطب والرياضة والعلوم بل إن أعمال فلاسفة الإغريق القدماء التي اندثرت في عصور الظلام الأوروبية حرص العلماء المسلمون على حفظها وترجمتها إلى اللغة العربية وظل الإسلام نبراساً وهادياً للحضارات الإنسانية ولقد كان حديثاً ممتعاً وشائقاً في رحاب إحدى قلاع العلم ولا سيما بالنسبة لتاريخنا وتراثنا مع هؤلاء قائلاً وأنا أغادر هذه المكتبة:

حديث عن الماضي أثار كوامني ... وحرك أشجاني وهز كيانيا

والتراث هو المخزون الفكري الذي يجسد الماضي خلال العصور، ويبرز ثقافة الأمم وحضارتها كما كانت عليه ولقد خلف الأسلاف تراثاً ثقافياً غزيراً مشرق الصفحات وضاء المعالم على مدى حقب السنين وتعاقب القرون ومن يقرأ سيرة الجاحظ وابن العميد والصاحب بن عباد والحكم بن الناصر صاحب الأندلس وما يرويه صاحب كتاب «نفح الطيب» يدرك مدى اهتمامهم بالعمل العلمي والفكري.

ويزخر التراث العربي الإسلامي بالتاريخ المجيد والمؤشرات الحضارية والعهود المشعة حضارياً وفكرياً وعلمياً في جميع المستويات لما فيه من إضاءات متعددة تكشف عن فضائل جليلة وشواهد كثيرة على حضارة أمة قدمت للإنسانية منهجاً قويماً، وانطلقت منها فتوحات الهداية في أرجاء الأرض.

إن الاهتمام بالتراث من أجل الأعمال وأولاها، وخير معيار يقاس به الوعي، فالعودة إلى التراث رجوع إلى المثل الروحية والقيم الأخلاقية. ولقد تميزت أمتنا الإسلامية بتراث مجيد اهتم به الغرب ووضع له فهارس تسهيلاً لدراسته، فعلى باحثينا أن يتجهوا إلى تراثهم وينفضوا عنه غبار السنين ويطلعوا على ما حفل في مجالات العلوم والآداب والفنون.

لقد عكف المستشرقون عليه سنين طويلة مقتنعين بفائدته ومدركين أهميته وقد انحسر الاستشراق والمستشرقون في السنوات الأخيرة لذا فعلى أبناء الأمة العربية الإسلامية العناية به، والعمل على تحقيقه ودراسته بجد متواصل وعزم قوي حثيث وصبر طويل في جمعه وفهرسته وتحقيقه وطبعه، لتستمد منه الفائدة والعون على إرساء قواعد نهضتنا العلمية الطموح على أساس مكين من القيم الروحية

والأخلاقية والإنسانية وإبراز صفحة جديدة في المعرفة الإنسانية، ومواصلة السير نحو التقدم العلمي متخذين من الماضي نبراساً نضيء به دروب المستقبل، وحافزاً لإدراك الشأو واستعادة التاريخ المجيد والأمل الكبير بإذن الله لتحقيق ذلك.

إن قراءة التاريخ والتراث قراءة موضوعية غاية جليلة إذا بها نتعرف كنوز الماضي وأحوال أسلافنا السابقين وما سطروه وخلفوه حتى نواصل الإنجازات ونتعرف على الفعاليات التي صنعت تلك الحضارة.

ولا تحمل الجامعات ومراكز البحوث وحدها مسؤولية نشر التراث، والتنسيق بين المتاحف والمكتبات في اقتناء المخطوطات وتصويرها، وإنما هي مسؤولية تضطلع بها المؤسسات العلمية والثقافية كافة، ودور النشر والأجهزة المعنية بالتراث وشؤون المخطوطات في مختلف إرجاء العالم الإسلامي، مع إتاحة التسهيلات التي تمكنها من تأدية هذه الرسالة العلمية المهمة التي حملت إلى الإنسانية علماً ومعرفة ومثالية وحضارة.

ويقيني أن معهد المخطوطات العربية وغيره بما لديه من خبرة وتجارب قادر على الإسهام الفعال والتقويم العلمي لأوضاع المخطوطات العربية وأماكن وجودها، بالتكاتف مع المؤسسات الثقافية المعنية للبحث عن تلك المخطوطات التي أتى عليها الدهر وتعرضت للإزراء والفناء، وهي ثروة علمية نفيسة جديرة بالاهتمام ورسم منهج مناسب لجمع التراث وتحقيقه، له أثره المجدي في هذا الصدد، لما يحفل به من عطاء جم ونفع وفير وعدة صالحة للدرس والبحث والفائدة ليكون نبراساً وضياءً لجيل اليوم، يشحذ عزائمهم للتعرف على ذلك الماضي المجيد الذي أدى دوراً فاعلاً ومؤثراً بما يحويه من رؤى عميقة وثرية، وما يحمله من مضامين فكرية وعلمية وإضافة للعلم والمعرفة لها في تاريخ الثقافة والحضارة صيت بعيد وأثر حميد.

وهكذا تتجلى اليوم – وأكثر من أي زمن مضى – الحاجة الملحة إلى العناية بالتراث، وما زالت المراجع والمصادر تحفل بإشارات ومعلومات تومئ وتوضح أسماء الكتب والمكتبات والمتاحف، ومخطوطات التراث العلمي المجيد الحافل بالميادين العلمية والمخترعات والآثار النفيسة التي اعتمدت عليها أوروبا في عصور نهضتها.

كما يوجد لدى عدد من الأسر والأفراد كم هائل من المخطوطات المهملة في خزائن خاصة تحتاج إلى الترميم والمعالجة ووضعها أمام الباحثين للاطلاع عليها، والمؤسف أن البعض ما زال يحجبها أو يبيعها لمن لا يقدرون قيمتها وما تحتويه من معلومات نفيسة، ولقد اهتم الأوروبيون بشراء المخطوطات العربية فتسربت آلاف منها، وما زالت هناك مؤسسات تتاجر فيها، وتوجد لديها مجموعات ثمينة من المخطوطات معروضة للبيع بأسعار خيالية في بريطانيا وفرنسا وهولندا وألمانيا وروسيا واستنبول والهند وبعض العواصم العربية وغيرها.

ولمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية جهود محمودة في هذا المجال، فلقد قام بوضع قائمة فهارس بالمخطوطات، وبوضع إحصاء جيد وتصنيف للدول التي تحويها ومعلومات عنها، مما دفع كثيراً من الباحثين إلى الإعجاب به والإشادة بمكانته لاهتمامه بالتراث، يدل على ما تحتويه مكتبته من معارف ومخطوطات.

***

لقاء مع المبتعثين السعوديين

قمت برحلة هذا الصيف إلى الولايات المتحدة الأمريكية للسياحة والتعرف على المعالم الحضارية والثقافية في هذه البلاد وزيارة أحد الأبناء الذي يدرس في جامعة «إلينوي» فكانت فرصة طيبة أن التقي بعدد من أبناءنا المبتعثين.

فلقد أقام الابن ماجد الذي يدرس في أمريكا حفلاً شيقاً دعا إليه جل زملائه من السعوديين والخليجيين والعرب حيث حصل التعارف والحديث عن الغربة والوطن والدراسة ونظام الجامعات وأحداث الساعة والمواضيع التي تهم هؤلاء الشباب روح المسلم الغيور على دينه المحب لوطنه وتقدم بلاده، ولقد قلت لهم لقد بعثتكم بلادكم لتلقي العلم النافع لتعودوا إلى بلادكم رواداً متفانين في خدمتها ودفع مستوى الوعي والعلم فيها وعليكم بالجد والمثابرة والالتزام بالإسلام وآدابه وأخلاقه.

ولقد دعانا جملة من الإخوان فكانت لقاءات ودية مفعمة بالمحبة والمودة والأخوة والكرم، كما التقينا ببعض الأساتذة من جامعة الملك سعود ممن لديه تفرغ علمي وزيارة لمراكز البحوث والجامعات هنا، وقد تطرق الحديث خلال تلك الاجتماعات واللقاءات إلى أمور علمية شتى، كما حصلت الحوارات والمناقشات العامة في مجالات علمية وتربوية مختلفة.

وعن الوطن العربي في الأطروحات الأمريكية واهتمام الغرب بدراسة الشرق وحركة الاستشراق والبرامج الدراسية التي تقدمها جامعات الولايات المتحدة الأمريكية وما يميز بعضها عن بعض – وكما هو معروف إن الجامعات في أمريكا صنفان: جامعات تنفق عليها الدولة وجامعات مستقلة وهذه عادة عالية

الرسوم وهي أكبر الجامعات وأعلاها مستوى مثل هارفرد، كولومبيا، ييل، بنسلفانيا والينوي، متشقان، وغيرها، وبالمقارنة فإن جامعتنا السعودية تتطور تطوراً سريعاً بالنسبة على عمرها القصير والجهد مبذول وموصول في مزيد من الرقي والتطور بحيث تؤدي مهمتها على الوجه الأمثل.

لقد كانت الأحاديث مع هؤلاء الأخوة في مسائل هامة في التعليم العالي الأمريكي وقضايا التربية والتعليم ثم جرى الحديث عن مسيرة الابتعاث السعودية والتي تحقق نتائج طيبة للغاية من أجل الحصول على العلم والمعرفة لنهضة بلادنا وتأكيد دورها الحضاري واستمرار جهدها العلمي لخير الأمة والوطن والتعرف على الإنجازات العلمية والاستفادة منها وأن الابتعاث للدراسة في هذه الجامعات هو استثمار أمثل وتركيز على المستقبل لإعداد جيل العلماء والباحثين صناع المستقبل الذين سيمارسون العمل مع زملائهم ممن تخرج من هذه الجامعات والالتحاق بهم في مؤسسات العلم في الإدارة والطب والهندسة والهيئات الأكاديمية والجامعات، ومن خلال مقابلاتي في عدد من الولايات بشبابنا لاحظت أن مستوى المبتعثين مشرف وهناك جهود تبذل لتهيئة المبتعث لإنجاز دراسته وتحقيق مهمته العلمية والتفوق في رسالته العلمية ليعود إلى الوطن بعد نيل العلوم والمعارف التي تسهم في ازدهار الوطن ومستقبله.

لقد كان اللقاء مناسبة ثقافية وحوارات مفيدة في جو مفعم بالمودة والثقة والأخوة بقرب جامعة عريقة كبرى هي جامعة إلينوي والتي تضم هؤلاء الشباب فهم إشعاع سعودي يحمل رسالة العلم والمعرفة والثقافية والإبداع، وهذا وبالله التوفيق.

***

الخاتمة

تلك ذكريات على ما أحاط بها من ظروف ومواقف ولقد قيل: إن من يسافر إلى بلاد أخرى ويعود يحدث أهله عما رأى هو فيلسوف والذي يروح ويجيء ولا يقول شيئاً فإنه متفرج فقد استمتع واكتفى وكثيرون راحوا وجاءوا كما راحوا لم يتغير منهم شيء وسبب ذلك كما يقال إن نفوسهم صماء لم تنفتح على شيء ولم يتسلل إليها شيء.

فالهدف من السفر هو حب المعرفة فابن بطوطة طاف العالم وهاجمه اللصوص في جزيرة المحيط الهندي في ذي الحجة سنة ٧٤٥هـ وسلبوا أمواله ومزقوا مذكراته وكلها وعاد ليروي ما حدث له في عشرين عاماً من الذاكرة وهي رحلة واسعة الأرجاء فسيحة الفضاء متنوعة العطاء.

وأخيراً رحم الله أبا تمام القائل:

ثم انقضت تلك السنون وأهلها ... فكأنها وكأنهم أحلام

والرحالة ابن جبير الأندلسي الذي تعب كثيراً في رحلاته ولكنه في النهاية سعيد بما رأى ويشكر الله على ذلك وفي نهاية رحلته يقول:

فألقت عصاها واستقربها النوي ... كما قرعينا بالإياب المسافر

وأخيراً أقول:

كم منزل في الأرض يألفه الفتى ... وحنينه أبداً لأول منزل

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب إلا للحبيب الأول

***

الإنتاج العلمي المطبوع للمؤلف

١- كلمات متناثرة.

٢- رحلات وذكريات.

٣- على مائدة الأدب.

٤- مراحل إعداد المعلم في المملكة.

٥- رمضان عبر التاريخ.

٦- في التربية والثقافة.

٧- صور من الغرب.

٨- من أدب الرحلات.

٩- المفيد في الإنشاء.

١٠- الشذرات في اللغة والأدب والتاريخ والتربية.

١١- توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في النهضة العلمية والاجتماعية.

١٢- رحلات إلى الشرق والغرب.

١٣- يوم في ذاكرة التاريخ.

١٤- شعاع في الأفق ديوان شعر.

١٥- عبق السنين ديوان شعر.

١٦- رفقاء بالفصحى.

١٧- مسيرة التوحيد والبناء «لمحات تاريخية».

١٨- كتب ومؤلفون.

١٩- في آفاق التربية وأفياء التعليم.

٢٠- آفاق فكرية وشجون تربوية.

٢١- صور من أدب الرحلات إلى الحرمين الشريفين.

٢٢- رحلة إلى اليابان.

٢٣- اللغة العربية هوية وانتماء.

٢٤- رحلات وذكريات في ربوع بلادي.

٢٥- رحلات الحج في عيون وكتابات الأدباء والمؤرخين.

٢٦- رحلات ومشاهدات في الوطن العربي والأندلس.

٢٧- رحلات ومشاهدات سائح في البلاد الأوربية.

٢٨- رحلات ومشاهدات في شرق آسية.

٢٩- من وحي رحلات في الولايات المتحدة الأمريكية.

٣٠- ومضات من فكر وحصاد قلم.

إلى جانب بحوث ومقالات في الصحف والمجلات الفصلية والشهرية وأحاديث في الإذاعة والتلفاز، وإسهامات إعلامية كثيرة.

لديه عدد من المؤلفات والدراسات الأدبية والتاريخية ستأخذ إن شاء الله طريقها إلى النشر.

***

بحوث ومحاضرات للمؤلف

١- الدعوة الإصلاحية في مواجهة التحديات.

٢- العلاقة بين التراث الإسلامي ونمو المدينة العربية.

٣- وميض من سيرة الملك عبدالعزيز «ظاهرة توطين البادية».

٤- محمد الخامس بطل التحرير.

٥- دور دارة الملك عبدالعزيز في إحياء التراث الإسلامي.

٦- أبو بكر بن العربي اللغوي الأديب.

٧- حول أسطورة القرصنة العربية في الخليج العربي.

٨- الصلات التاريخية بين الدولة العثمانية ودول الخليج العربي.

٩- النهضة التعليمية في المملكة العربية السعودية.

١٠- علاقة نجد بالشام في الفترة من ١١٥٧هـ إلى ١٢٢٥هـ.

١١- قضية اللغة العربية بين الفصحى والعامية.

١٢- نظرات في التراث.

١٣- توحيد المملكة العربية السعودية، وأثره في الاستقرار الفكري والسياسي والاجتماعي.

١٤- التعليم في عهد الملك عبدالعزيز.

١٥- الأماكن التاريخية لمدننا بين الذكرى والنسيان.

١٦- المجمعة بين الماضي والحاضر.

١٧- من أدب الرحلات.

١٨- الكتاب السعودي بين الواقع والمأمول.

١٩- منهج الإسلام في تربية الأسرة.

٢٠- المؤسسات التربوية ودورها في التربية السلوكية.

٢١- توظيف معطيات المعرفة في دعم المنهج التعليمي.

٢٢- آفاق فكرية وشجون تربوية.

٢٣- اللغة العربية هوية وإنتماء.

٢٤- منطقة سدير معالم الحاضر وآفاق المستقبل.

٢٥- التدريس في المسجد الحرام في عهد الملك عبدالعزيز.

٢٦- جوانب ثقافية وحضارية في حياة الملك عبدالعزيز.

٢٧- سوق عكاظ بين وهج الماضي وشموخ الحاضر.

٢٨- اللغة العربية بين الماضي الحي والغد المنشود.

٢٩- العلاقات العربية اليابانية من خلال الرحلات المتبادلة.

٣٠- اللغة العربية في عيون العلماء والأدباء والمستشرقين.

٣١- مواقف وذكريات في ميدان التربية والتعليم ودارة الملك عبدالعزيز.

٣٢- واجبنا نحو إحياء التراث اللغوي.

٣٣- ذاكرة الرياض في خمسين عاماً.

٣٤- مدرسة دار التوحيد ومسيرة ستين عاماً، وغير ذلك من البحوث والمحاضرات.

***

الفهرس

المقدمة ٥
بين نيويورك وميتشقان وأكولاهوما ٧
في معهد اللغة الإنجليزية في ايست لانسنق بولاية ميتشقان ١٢
في مدينة نورمان ١٤
تجوال في واشنطن ١٦
خواطر وذكريات عن شهر رمضان في أمريكا ١٨
مناسبات وفعاليات ثقافية وذكريات رمضانية ٢٣
في حفل الليلة العربية ٢٤
أهلاً برمضان موسم الخيرات ٢٦
الرحلة الثانية لأمريكا في عام ١٤١٤هـ ٢٨
في سان ديقو sandiego ٣٢
جولة في هوليود ٤٢
ما بين نيفادا وسان فرانسسكو ٤٤
جولة في نيوبورت بيتش Newport Beach ٤٦
زيارة إلى شلالات نياغرا ٤٨
تجوال في كليفلاند ٥٤
في انديانا بلس (LNDIANAPOLIS) ٥٨
في شيكاغو Chicago ٦١
في فلوريدا ٦٩
جولة في مدينة لانكستر بولاية بنسلفانيا ٧٢
حوار عن الحضارة الإسلامية في جامعة ميشقان ٧٥
حول الجامعات الأمريكية ٨٠
الطلاب المسلمون في أمريكا ٨٣
في مكتبة الكونجرس ٨٦
حوار مع الملحق الثقافي السعودي في واشنطن ٩١

دور رائد للأكاديمية الإسلامية السعودية في أمريكا ٩٣
حديث عن الكتاب والتراث في جامعة ألينوي ٩٥
لقاء مع المبتعثين السعوديين ١٠٠
الخاتمة ١٠٢
الإنتاج العلمي المطبوع للمؤلف ١٠٣
بحوث ومحاضرات للمؤلف ١٠٥
الفهرس ١٠٧

***